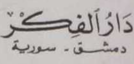
الدكتور شوقي أبو خليل

هذا هو الإسلام

تحريرُ المرأة مِمَّن؟
وفيمَ حُرّيتُها؟



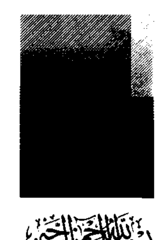


شوقي أبو خليل

- من مواليد ١٩٤١
- دكتوراه في التاريخ الإسلامي
- تقلب في الوظائف التربوية بين التدريس والتوجيه والمناهج
- محاضر في كلية الشريعة بجامعة دمشق
- أستاذ السيرة والحضارة العربية الإسلامية في معهد جمعية الفتح الإسلامي (حالياً)
- مدير النشر في دار الفكر - دمشق (حالياً)

له أكثر من ستين كتاباً، منها:

- سلسلة أطالس إسلامية (أطلس القرآن، أطلس الحديث النبوي، أطلس دول العالم الإسلامي، أطلس السيرة النبوية، أطلس التاريخ العربي الإسلامي)
- غزوات الرسول الأعظم ﷺ ١ - ١٠
- المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام ١-٢٠



بسم الله الرحمن الرحيم

تحريرُ المرأة مِمَّن ؟
وفيم حُرِّيتُها ؟

تحرير المرأة ممن؟ وفيم حريتها؟/ شوقي أبو خليل. -
دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨. - ٨٠ص؛ ١٧سم.
١- ٣٠٥,٤ خ ل ي ت ٢- ٢١٨,٨١ خ ل ي ت
٣- العنوان ٤- أبو خليل
مكتبة الأسد
ع- ١/١/١٩٩٨

هذا هو الإسلام

تحريرُ المرأة مِمَّنْ؟ وفِيمَ حُرِّيتُها؟

الدكتور شوقي أبو خليل

دارُ الفِكر
دمشق - سورية

دارُ الفِكر المُعاصِر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي: ١١٦٤,٠١٣
الرقم الدولي: ISBN:1-57547-451-4
الرقم الموضوعي: ٢١٠
الموضوع: دراسات إسلامية
العنوان: تحرير المرأة متى؟ وقيم حريتها
تأليف: الدكتور شوقي أبو خليل
التنفيذ الطباعي: دار الفكر – دمشق
عدد الصفحات: ٨٠ صفحة
قياس الصفحة: ١٢ × ١٧سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ – ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com
e-mail: info@fikr.com



الإعادة الثالثة

١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

ط١/ ١٩٩٨م

المحتوى

الموضوع	الصفحة
ملحق	٥٧
١ ـ القوامة	٥٩
٢ ـ الميراث	٦١
٣ ـ الشهادة	٦٣
٤ ـ النُّشوز	٦٤
٥ ـ الحجاب	٦٧
٦ ـ عمل المرأة	٦٩
٧ ـ التَّعَدُّد	٧١
٨ ـ كيف نعامل الأهل	٧٢
٩ ـ الْمُجَادِلة	٧٥
١٠ ـ يهمنا المضمون	٧٨

مقدّمة

بسم الله ، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ، وآله وأصحابه ، وبعد ..

(تحرير المرأةِ مِمَّن ؟ وفِيمَ حُرِّيَّتها ؟) محاضرة أُلقيت بدعوة من إحدى الجامعات في دولة عربيَّة شقيقة بتاريخ ١٩٩٣/١٢/٢٣ م ، ثمَّ أودعتُ نَصَّ المحاضرة في سجل المحفوظات ، ولم يَدُر في خاطري نشرها آنذاك لسببَيْن اثنَيْن :

السَّببُ الأوَّل : أنَّ بعض النُّصوص الَّتي أوردتها في المحاضرة ، وردت سابقاً في بعض كتبي ، فخشيتُ أن أُتَّهم بالتَّكرار ، وهي سِمَةُ مَنْ ينضب فكرُه ، ويجفّ قلمُه ، فالصَّمت في مثل هذه الحال أَوْلى .

والسَّبب الثَّاني : صُدورُ عَـدَدٍ من الكتب الجيِّدة ـ بل

المتـازة ـ عن المرأة في هـذه الآونـة ، فَلِمَ نَشْرُ هـذه المحـاضرة الموجزة ؟ وما موقعها بين هذه الكتب ؟ وما مردودها بينها ؟

لهذين السَّبَبَيْن بقيَتْ هذه المحاضرة في ثنايا المحفوظات ، ولسببَيْن اثنين أيضاً أخرجتُ هذه المحاضرة إلى النَّشر :

السَّبب الأوَّل : كلمـة في احتفـال عرس لبنت أحـد الأَصدقاء ، أَلقاهـا أَحـدهم ـ وهو يحمل رتبـة علميَّـة ـ بعـد أَن وقف أمـام الحضـور المـدعـوِّين على المنصَّة المعـدَّة للخطبـاء ، وأخرج سـواكـه واستـاك أمـام النَّاس ، وبحركـة غير مقبـولـة اجتماعيّاً مصَّ سواكه عـدَّة مرات وأعـاده إلى جيبـه ، وبقي منـه جزؤه الأعلى ظـاهراً للعيـان ، مِمَّـا جعل حـاجزاً بين الخطيب المتكلِّم (صاحب السِّواك) وبين معظم المدعوِّين الجالسين ، فمن اللَّباقـة أن تتمَّ هـذه العمليَّـة في مكان جلوسـه حيث كان ، بعـد تغطية فمه بيده أو بمنديل .

وما أن وقف الخطيب قُبَالـة المـذيـاع حتَّى صرخ بلا توقُّع من الحـاضرين : أين العريس ؟ وجـاء العريس الَّـذي كان مع

عمِّه أبي عروسه في استقبال المدعوِّين ، وقال للأُستاذ الخطيب : نعم يا سيدنا ؟! فأَمره بالجلوس أمامه مباشرة ، ثمَّ بدأ بكلمته الَّتي أورد فيها ثلاثَ نقاط :

الأُولى : بعد انتهاء الاحتفال ، وأخذك لعروسك ، ضع يدك على مقدِّمة رأسها - قَبْل أي شيء - واستعذ من شرِّها ، تطبيقاً للحديث الشَّريف : « إذا أَفادَ أحدُكُم امرأَةً أَو خادماً أو دابَّةً فليأْخذ بناصيتها وليقل : اللَّهمَّ ! إنِّي أسأَلُكَ من خيرِها وخيرِ ما جُبِلَت عليه ، وأعوذُ بكَ مِنْ شَرِّها وشَرِّ ما جُبِلَتْ عليه » .

والثَّانية : واعلم أيُّها العريس أنَّك تزوَّجت امرأة ، ورسول الله ﷺ يقول عن النِّساء في الحديث الصَّحيح : « ناقصات عقل ودين » .

فاعرف مع من تتعامل .

والثَّالثة : وما دام قد صار عندك زوجة اعتباراً من

اليوم ، احفظ ـ لتطبِّق ـ حديث رسول الله ﷺ : شاوروهنَّ وخالفوهنَّ .

كان يجلس إلى يساري إنسان طيِّب عالم في اختصاصه ، فنظر إليَّ مستغرباً مستنكراً ، وكأنَّه يقول : ما هذا ؟ أهذا هو الإسلام ؟ وكان رفيق العمر الأُستاذ هاني المبارك إلى يميني ، وأدرك ـ كما أدركتُ ـ استياء هذا الأُستاذ الجامعي الذي يجلس معنا ، فقلنا له : يا أخي ، إنَّنا لا نوافقه على طرحه ، ولا نؤيِّده بما قال ، لأنَّه حفظ نصّاً ، ولكنَّه لم يستطع فلسفته كما أُريدَ منه ، فقلب المعنى رأساً على عقب ، خصوصاً النُّقطة الثَّالثة ، الَّتي لا صحَّة لها مطلقاً ، فشاوروهنَّ وخالفوهنَّ ليس بحديث شريف أصلاً ، ولنا جلسة قريبة نوضِّح فيها ما المراد بالدُّعاء قبل أيِّ شيء ، فهي لها الحقُّ بالمثل ، فالدُّعاء مقبول من الطَّرَفَيْن بالتَّساوي والعدل ، أنْ يكتب الله لهما الخير ويعيذهما من السُّوء معاً ، في أُسرة تسودها المودَّة والرَّحمة .

أمَّا حديث « ناقصات عقل ودين » ، فحديث شريف

صحيح ، قاله ﷺ في يوم عيد ، أي في مناسبةٍ بهيجة ، ونصُّه :

« يا معشرَ النِّساء ، ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجلِ الحازمِ مِنْ إحداكُنَّ » .

فلا يعقل من رسول الله ﷺ صاحبِ الْخُلُقِ العظيم أن يُنقصَ من شأنِ النِّساء ، أو يحطَّ من كرامتهنَّ في مناسبة بهيجة ، فليست صيغةُ الحديث صيغةَ تقرير ، ولا قاعدةً عامَّةً أو حكماً عاماً ، إنَّها صيغةُ تعجُّبٍ مِنْ التَّناقض القائم في ظاهرةِ النِّساء الأنصاريَّات ، اللَّواتي فيهنَّ رقَّةٌ ونعومة ، وعلى الرّغم من ذلكَ كلمتهم هي العليا عند الرجال ذوي الحزم ، كما هو مُبَيَّن في ثنايا المحاضرة هذه بالتَّفصيل .

والسَّبب الثَّاني : طلب هذا الأخ الكريم ، نشر المحاضرة بعد أن أعلمته بها ، وأنّي أوضحت مكانة المرأة في الإسلام باختصار يتناسب مع زمن محاضرة ، فوعدته بالنَّشر .

ومن العجيب أن أحد الأساتذة الكرام ، ذكر حديث

ناقصات عقل ودين وشرحه في كلمة موفَّقة في حفل عرس أيضاً ، فأجاد ، وقدَّمه كما أُريدَ منه ، فنال ثناء الحضور ، وإعجابهم ، إن حكَّمت المرأةُ عاطفتها في مواقف ـ وهذا فطرة فيها ـ فالعقل هنا مغلوب لا غالب ، وهي في أيام معدودات معفاة من واجباتها الدِّينيَّة ، كالصَّلاة مثلاً ، ولكنَّها مثابة على ذلك ؛ لأنَّها حينما صلَّت صلَّت بأمر الله ، وحينما سمعت النِّداء ولم تلبِّ في أيَّام محدَّدة ، لم تلبِّ بأمر الله ، فهي مثابة أيضاً ، وهذا النَّقص لا يعني بُعدها عن الله وعن دينها .

وبعد موازنة بين الخطيبَيْن سريعة ، تساءلت :

متى سينتصر الجدُّ النَّافع ، وينهزم الهزل ؟ فالَّذي يقف أمام مئات المدعوِّين مسؤول أمام الله عن هذه الدَّقائق الَّتي تُنْتَزَع من وقت الحضور ، والَّتي يتحدَّث خلالها عن أُمور ، إما أن تنفرِّهم من الإسلام وتعاليمه ، وإمَّا أن تقرِّبهم منه ومن تعاليمه ، لجودة ما يطرح بمنطق وتحليل سليمَيْن .

فالكلمة خطرة ، بل سمٌّ زعّاف في غير مكانها ، وهي شؤم

على عقول النَّاس وأفكارهم إن لم تكن مدروسة هادفة ، تُطرح بمنطق وأُسلوب علميٍّ محبَّب ، خصوصاً بعد تراجع ملموس بانتشار الكتاب ، الَّذي كان انتشاره في يوم من الأيَّام عاملاً رئيساً في سيادة حضارتنا العربيَّة الإسلاميَّة ، ومِنْ رحلة الكتاب العربي إلى الغرب عبر الأندلس وجنوبي إيطاليــة .. كانت بدايات عصر النَّهضة الأُوربيَّة باعتراف الأُوربيِّين أنفسهم .

لقد بلغ الاهتمام بالكتاب أن يقف الحاجُّ في عرفات ويتنقَّل هنا وهناك بشغف وحُرْقة للسُّؤال عن كتاب .

والنَّصيحة كان يتبعها الشُّكر والامتنان ، فإذا بها اليوم - مع صدق وإخلاص النَّاصح - تثير الغضب ، وكأنَّ الخطباء ، أمثال خطيبنا صاحب السِّواك ، يريد وأمثاله كلماتٍ من التَّلطُّف والمديح ، وهذا ما قدَّمه له من كان قريباً منه بعد انتهائه من كلمته .

إنَّ الصِّدق من أثمن ما يتَّصف به الإنسان ويتحلَّى .

ولن يتغيَّر ، فمن شبَّ على شيء شابَ عليه ، وأُضيف لمعلوماتكم عنه ، أنَّه في خطبة له منذ أيَّام ، قال للعريس خاصَّة - بملء فِيهِ - وللمدعوِّين ولأبي العروس بشكل عام : أَفْهِمْ عروسَكَ منذ السَّاعة أنَّه لك الحقُّ بالزَّواج بثانية وثالثة ورابعة ، فقَلب الفرح إلى تَرَح .

لكلِّ مقام مقال ، ادعُ اللهَ لهما بالتَّوفيق والسَّعادة والتَّفاهم الكامل ، عندها لِمَ الثَّانية أوِ الثَّالثة .. وكأنَّه - بلا توفيق - يُحتِّم وقوع الخلاف وسوء العِشْرَةِ والتَّنافر ..

وأنا بعد هذه المقدِّمة لا أدَّعي أنِّي قدَّمت في هذه المحاضرة كلَّ شيء عن المرأة ، إنَّما هي جوانب شغلت زمن المحاضرة ، نصوصها موثَّقة ، فالنِّساء - في الإسلام - شقائق الرِّجال ، وامتزنَ عنهم بأُمور أوَّلُها وأهمُّها كثرة وصايا رسول الله ﷺ بهنَّ ، والوصيَّة بهنَّ دليل قاطع على مكانتهنَّ في الإسلام ونفاستهنَّ ، وقيمتهنَّ السَّامقة عند نبي الإسلام ﷺ .

وكم كان شعوري طيِّباً سعيداً حينما سألتني فتاة عاديَّة - غير

محجَّبة ـ: ما حقوق المرأة في الإسلام ؟ فقلت لها : أحسنتِ السُّؤال ، كثيرون هم الرِّجال الَّذين يتكلَّمون عن حقوق الرَّجل ، ويتجاهلون حقوق المرأة ، وجوابي عن سؤالك : لا حقوق للمرأة ، كما أنَّه لا حقوق للرَّجل ، وصمتٌ قليلاً ، ثمَّ قلت : الحقوق لأُسرة شكَّلاها بقرانها ، لتربِّي جيل المستقبل ، جيلاً يشكِّل جسد طائر جميل غِرِّيد ، والأب والأُمُّ جناحاه ، ولن يحلِّق هذا الطَّائر عالياً ، وبتربية سليمة سويَّة ، إلاَّ بجناحَيْن متساويَيْن سليمَيْن .

هذا حقُّك ، وهذا حقِّي ، هذا واجبك ، وهذا واجبي إذا اختلفنا وتباعدنا ، أمَّا ما دمنا في بيتٍ يسوده الودُّ والحبُّ والتَّفاهم ، فلا تقاسم للحقوق وللواجبات ، جناحان متساويان يحلِّقان بأُسرة سعيدة ، فرأيت هذه الفتاة تصفِّق مع الحضور .

وأنا لا أدَّعي أيضاً أنَّني قدَّمت رأي الإسلام كاملاً ، لقد قدَّمت رأْيي كما فهمتُه من الإسلام ، من خلال دراستي له ، ولكن أرجو من الله أن يكون فهمي قريباً ـ إلى حدٍّ مقبول ـ من الإسلام وأهدافه وحقائقه ومراميه .

والنَّقد البنَّاء سياج متين دون مهاوي التَّردُّد وقنوات العثار والزَّلل .

والحوار مع الاعتراف بالآخر ولو خالفنا الرَّأي ، خير من اصطناع الملق والزُّلفى بعد كلِّ خطبة ، فصمُّ الأُذنَيْن عن النَّقد البنَّاء المخلص ، في أُمور صارت من البديهات ، والاكتفاء بالمجاملات وكلمات الإطراء ، تجعلنا نسير في عكس الاتِّجاه السَّليم .

إنَّ وقع الحديث (الخطبة) في الحفلات عند السَّامعين وأثره في نفوسهم لا أقول إنَّهما أمران ضروريَّان ، بل إنهما الهدف ، فليتنا نتنبَّه إلى الكلمة الطَّيِّبة البنَّاءة المختصرة ، لذلك حمَّلنا ـ في حينه ـ أبا الفتاة العروس عتاباً يحمله بلطف إلى الخطيب صاحب السِّواك ، لعلَّه يعدِّل من لهجته ، ويتروَّى في إصدار الأحكام ، ويقدِّم ما هو بنَّاء للنَّاس يقرِّبهم إلى الإسلام الحقِّ ويجذبهم إليه بأُسلوب طرحه .. وكم كان الأسى عظيماً حينما قال أبو الفتاة العروس بعد أُسبوعَيْن أو ثلاثة : هذا الرَّجل الخطيب هكذا هو ، وسيبقى بهذا الأُسلوب ، وبهذه الطَّريقة .

فإلى (تحرير المرأة مِمَّن ؟ وفِيمَ حرِّيَّتها ؟)

والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً .

الدكتور شوقي أبو خليل

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ، ويَسِّرْ لي أَمْرِي ، وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ، [طه : ٢٠/٢٥ـ٢٨] .

بسمِ اللهِ القائلِ : ﴿ ٱدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُم وأَزْواجُكُم تُحْبَرونَ ﴾ ، [الزُّخرف : ٤٣/٧٠] ، أيُّها الإخوة :

وصلتني رسالةٌ مِن طالبٍ نجيبٍ ، يقيمُ حاليّاً في العاصمةِ البريطانيَّة ، يطلبُ منِّي فيها عدداً من الكتبِ تتناولُ موضوعَيْنِ اثنَيْنِ ، وشرحَ بإسهابٍ أسبابَ طلبِهِ هذا ، ومِمَّا قالَهُ : إنَّ ما يوجَّهُ إلى الإسلامِ والمسلمينَ في الصَّحافَةِ ، وفي الحواراتِ عامَّةً ، يتركَّزُ عَبْرَ قناتَيْنِ اثنَتَيْن على الغالِبِ :

القناةُ الأُولى : العنفُ ، الإرهابُ ، وبالتَّالي مصادرةُ رأيِ الآخرينَ ، وهذا يوصِلُنا إلى انتشارِ الإسلام بالسَّيْفِ ، والدِّماءُ رفيقَهُ الدَّائمُ .

والقناةُ الثانيـةُ : المرأةُ المقهورَةُ ، الَّتي ضـاعَتْ حقوقُهـا ، والَّتي ضاعَتْ إنسانيَّتُها مِنْ خلالِ نصوصٍ قديمةٍ ، إنَّهـا في الشَّرقِ سلعةٌ ، تُعامَلُ بدونِيَّةٍ وقَهْرٍ .

أرسلتُ إلى الطَّـالبِ النَّجيبِ مـاطلبَ ، أسماءَ عـددٍ مِنَ الكتبِ تعالجُ العُنْفَ ، وأُخرى توضِّحُ موقِفَ الإسلامِ مِنَ المرأةِ .

العنفُ والمرأةُ :

ولَمَّا كانَ موضوعُ محـاضرتِنـا اليومَ : (تحريرَ المرأةِ مِمَّن ؟ وفِيمَ حرِّيتها ؟) أستميحُكُم عـذراً بـدقـائِق ، أُعرِّجُ بهنَّ على موضوعِ العُنْفِ ، موضوعِ الإسلامِ والسَّيفِ ، لا لأُفَنِّدَ أَوْ أَشْرَحَ ، بَـلْ لـوضْـعِ تسـاؤلٍ أمـامَكم ، لا بُـدَّ أَنَّكُم ستجـدونَ إجـابَتَـهُ في نفوسِكُمْ :

في عام ١٩٩٢ ، أُقيمتِ احتفالاتٌ هنا في الأندلُسِ ، بمناسبـةِ مُرورِ خَمسِ مئةِ عامٍ على مصرعِ غَرْناطةَ ، كما أُقيمتِ احتفـالاتٌ هنـاكَ في أمريكـةَ ـ الجنـوبيَّـةِ منهـا خـاصَّةً ـ بمنـاسبـةِ مرورِ خَمسِ مئةِ عامٍ على اكتشافِها مِنْ قِبَلِ كولومسَ .

ماذا جرى هُنا ؟ وماذا جرى هُناكَ ؟

مـــاذا جرى في الأنـــدلسِ ؟ ومـــاذا جرى في أمريكـــةَ اللاَّتينيَّةِ ؟

صورتانِ متعـاكِسَتـانِ متنـاقِضَتـانِ ، **الأُولى :** صورةٌ لأثَرِ فَتْحٍ حضاريٍّ إنسانيٍّ مُتسامِحٍ ، مِنْ ثمارِهِ حضارةٌ رفيعَةٌ سامِقَـةٌ ، **والثَّانِيَةُ :** صورةٌ لأثرِ كشوفٍ دمويَّةٍ أسفَرَتْ عَنْ إبادَةِ شعوبٍ ، ومَحْوِ حضاراتٍ .

هنا ، القوميَّةُ الأندلسيَّةُ أصبَحَتْ واقعاً متجلِّيـاً ، اجتماعيّـاً وسياسيّـاً ، بَعْـدَ أنْ كانَتْ مُحـارَبـةً ومُضطهَـدَةً مِنْ قِبَلِ الْحُكْمِ الفرنكاويِّ .

الأنـدلسيُّـونَ اليـومَ يقـولـونَ : نَحْنُ إسبـانُ لُغَـةً وولاءً ، وأندلسيُّونَ تاريخاً وحضارةً .

للأندلُسِ اليومَ كيانٌ مستقِلٌّ في دائرةِ الدَّولـةِ الإسبـانيَّـةِ ، وأصْبَـحَ لهـا حكـومـةٌ محلِّيَّـةٌ تـديرُ شؤونَهـا ، ومصـوّرٌ يُحـدِّدُ مناطِقَها ، وعَلَمٌ ونشيدٌ قوميٌّ .

العَلَمُ الأندلسيُّ الرَّسميُّ يتكوَّنُ مِن ثلاثةِ مستطيلات : أخضرَ وأبيضَ وأخضرَ ، والحرسُ البلديُّ يضعُ على كتِفِهِ عَلَمَ الأندلُسِ ، بينما تَضَعُ الشُّرطةُ العَلَمَ الإسبانيَّ : الأصفرَ .

شبابٌ أندلسيٌّ مُسْلِمٌ يقومُ بالدَّعوةِ لِنَشْرِ الإسلامِ ، الدِّين العالميّ الإنسانيّ ، الَّذي لا يُنْكِرُ الدِّياناتِ السَّابقةَ ، ولا الأنبياءَ السَّابقين .

توَّجَ الشَّبابُ الأندلسيُّ نشاطَهُ هذا ، باعترافِ الدَّولةِ الإسبانيَّةِ بالإسلامِ ديانةً رسميَّةً إلى جانبِ الدِّيانتَيْنِ المسيحيَّةِ واليهوديَّةِ ، وذلكَ في صَيْفِ ١٩٨٩ م .

وفي إشبيليةَ ، أُقيمَ حفلٌ موضوعُهُ : شِعْرُ الْمَلكِ الإشبيليِّ المعتمدِ بنِ عبّادَ ، افتَتَحَ الحفلَ أُستاذٌ جامِعِيٌّ ـ وهُوَ رئيسُ الجماعَةِ الإسلاميَّةِ ـ اسمُهُ عبدُ الرَّحمن مدينا ، بقولِهِ : بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، ثمَّ قالَ بالإسبانيَّةِ : خيرُ ما نفْتَتِحُ بهِ حَفْلَنا ، آياتٌ مِنَ القرآنِ الكريمِ ، وهُوَ كتابُ المسلمينَ ، أجدادِكُمْ ، وقُرِئَتْ سورَةُ والتِّينِ والزَّيتون ، فالتِّينُ والزَّيتونُ هما شعارُ الأندلسيِّينَ أيَّامَ الفَتْحِ الإسلاميِّ ، وكانَ مِنْ عاداتِهِمْ تقديمُهُما

للـزُّوَّارِ ، وبَعْـدَ قِراءَة القرآنِ الكريمِ ، دوَّى المكانُ بـالتَّصفيـقِ ، وهــذا يــدلُّ على تعــاطُفِ الجمهورِ غَيْرِ المُسْلِمِ ، مَعَ المُسلمينَ الْجُـدُدِ ، أحفـادِ طـارقِ بنِ زيـاد ، وعبـدِ الرَّحمنِ الـدَّاخِـل ، وعبدِ الرَّحمن النَّاصِرِ .

وقدَّمَ عبدُ الرَّحمنِ مدينا شِعْرَ ابنِ عَبَّـادَ بقولِـهِ : أُقـدِّمُ لَكُمْ شِعْراً رقيقـاً لِمَلِـكٍ عظيمٍ مِنْ ملـوكِ إشبيليـةَ ، الَّتي عَرَفَتْ في عصرِهِ الحضارةَ والازدهارَ ، والتَّفتُّحَ والتَّسـامُحَ الـدِّينيَّ ، ولكنَّني متأسِّفٌ لتقديمِ هذهِ القصائدِ بـالإسبـانيَّـةِ ، إذ كانَ مِنَ المفروضِ أَنْ تُقدَّمَ باللُّغةِ العربيَّةِ ، لُغَةِ آبـائِكُمْ وأجـدادِكُمْ ، وكانَ تَقْـديمـاً مؤثِّراً ، قُوبلَ بالاستحسـانِ والتَّصفيقِ ، وأخبرَ الأُستـاذُ مـدينـا الحضـورَ بـأنَّ مسلمي الأنـدلسِ سيؤدُّونَ صـلاةَ العصرِ ، وأُقيمتِ الصَّلاةُ ، وَسْطَ حشودِ الحـاضرينَ ، الَّـذينَ احترموا شعورَ هؤلاءِ المسلمينَ بالصَّمتِ .

وبَعْدَ ذَلِكَ أَلْقِيَتْ كلماتٌ حَوْلَ تاريخِ الحضارةِ الأندلسيَّةِ ، وخُتِمَ الحفلُ بالنَّشيدِ القوميِّ[١] .

(١) الشرق الأوسط : ١٩٩٠/٥/٢٥ م ، هذا : =

هـذا مـا كانَ هُنـا ، أَمَّـا هنـاكَ ـ كما أذاعَتْ لنـدنُ صبـاحَ ١٩٩٢/١٠/١٣ ـ بمناسبةِ زيارةِ البابا للدُّومنيكانِ ، بمناسبـةِ مرورِ خمسِ مئةِ عامٍ على اكتشافِ كولومبسَ لأمريكـةَ ، نَقَلَتْ إذاعـةُ لندنَ عَنْ وكالاتِ الأنباء :

ـ تحطيمَ تماثيلِ كولومبس في عـددٍ كبيرٍ مِنْ مُـدُنِ أمريكـةَ الجنوبيَّةِ .
ـ وحَرْقَ الأعلامِ الإسبانيَّةِ في كوستاريكا .
ـ وفي الإكوادورِ ، انفجاراتٌ احتجاجاً بهذِهِ الذِّكرى .
ـ وفي لابـازَ عـاصمـةِ بـوليفيـا ، مظـاهراتُ تنـديـدٍ بهـذهِ المناسبةِ .

= وأُقيمَ احتفالٌ مهيبٌ سنة ١٩٦١ بمناسبةِ الذِّكرى الأَلفيَّةِ لوفـاةِ عبـدِ الرَّحمن النَّـاصرِ في قرطبـةَ ، تردَّدت أصداؤُه في جميعِ أنحـاء إسبـانيـةَ ، وتمَّ وضْعُ عمودَيْنِ على جانبي بوَّابةِ مسجدِ قرطبةَ ، حُفِرَتْ عليهما بالعربيَّةِ والإسبانيَّةِ تحيَّةَ وفاءٍ وعرفانٍ بالجميلِ لروحِ عبدِ الرَّحمنِ مِنْ مواطنيه سكَّان قرطبـةَ . [تاريخ الأندلس د . أحمدبدر ،ص : ٨٠] .

وأُقيمَ تمثـالٌ بطولِ أربعـةِ أمتـارٍ لعبـدِ الرَّحمنِ الـدَّاخلِ (صقرِ قريشٍ) في مدينـةِ المنكَّبِ سنـة ١٩٨٤ م بمنـاسبـةِ مرورِ ١٢٠٠ عـامٍ على نزولِـهِ أرضَ الأندلسِ .

ـ وفي الدُّومنيكانِ أَقَرَّ البابا بالقهرِ والعنفِ والاضطِّهادِ ، الَّتي رافقتِ الكشوفَ .

هذِهِ الصُّورةُ القاتِمَةُ ، دَفَعَ إليها صورةٌ سوداءُ ، انتصبَتْ وراءَها ، صورةُ إبادَةِ حضاراتِ الإنكا والمايا والآزتيكِ .

فرانسيسكو بيسارو حَصَدَ حضارةَ الإنكا بوحشيَّةٍ لا يتصوَّرُها عَقْلٌ .

وكورتيز مَحَا إمبراطوريَّةَ الآزتيكِ بدمويَّةٍ مُرْعِبَةٍ .

يقول الدُّكتورُ شاكرُ مصطفى[1] : « الحديثُ عَنِ الهنودِ الحمرِ ، حديثٌ عَنْ مأساةِ ثلاثينَ مليونَ إنسانٍ أبادَتْهُمُ البندقيَّةُ الأُوربيَّةُ والمدفعُ ، حديثٌ عَنْ جريمةٍ اشتركَتْ فيها جميعُ القوى الأُوربيَّة ، وكانَ لها أكثرُ مِن جنكيز خان واحدٍ ، وكانَتْ عمليَّةً مِنْ أفجَعِ عمليَّاتِ الإبادةِ الجماعيَّةِ في التَّاريخِ ، باسم الكنيسةِ والمدنيَّةِ ، هذا الثُّنائيّ السَّاحق ، تَمَّت العمليَّة » .

---

(١) المظلومون في التاريخ ، ص : ١٣١ .

هـذا مـا كانَ هنـاك منـذُ خمسِ مئـةِ عـامٍ ، فكانَ نتيجـةً طبيعيَّةً لِمَا جَرَى هذا العامُ .

أَمَّا هُنا ، فالحضارةُ الأندلسيَّةُ ، نبخَسُها حقَّها إنْ تكلَّمنا عنها بعُجالةٍ ، ويكفينا أن نذكرَ اسمَ عبدِ الرَّحمنِ النَّاصِرِ ، ليتبادَرَ إلى الفكرِ حضارةٌ عظيمةٌ ، أشعَّت نهضةً عالميَّةً .

فهنا اليومَ ، يحتفلُ الأندلسيُّون بصورةٍ زاهيةٍ رفيعةٍ مضيئةٍ ، انتصبَتْ وراءها صورةُ فتحٍ إنسانيٍّ بهيٍّ .

العنف واللاَّعنفُ ، لهما حديثٌ آخر ، يدعو إليهِ الأخُ الكريمُ الأُستاذُ جودتُ سعيدٍ ، فَاللاَّعنفُ ـ لا نظريَّة ـ بل أوامرُ إلهيَّةٌ نتبنَّاها :

﴿ لا إكْراهَ في الدِّينِ ﴾ ، أي حُرِّيَّةُ العقيدةِ لِمَن خالَفَنا فيها ، والقتالُ في الإسلامِ لنشرِ حرِّيَّةِ الدِّينِ والعقيدةِ ، والَّذي لا يجوزُ هُوَ الإكراهُ ، ﴿ لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ في الدِّينِ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطينَ ﴾ .

وما أروعَ عبارةَ مولانا محمد علي في محاكمتِهِ أمامَ المحكمةِ

الإنكليزيَّةِ عندما قال : « سيِّدي ، إنَّني أُخالِفُ كلَّ كلمةٍ ممَّا ذكرت ، ولكنَّني سأُقاتِلُ لآخِرِ قطرةٍ في دمي ، دونَ حقِّكَ في أنْ تقولَ ما تريدُ » .

الأمرُ طبيعيٌّ أن تتفتَّحَ الآفاقُ أمامَ العقيدةِ المنسجمةِ مَعَ فطرةِ الإنسانِ ، وكلُّ عقيدةٍ تسبحُ ضدَّ تيَّارِ الفطرةِ الإنسانيَّةِ ستنهارُ ، وممَّا لا شكَّ فيه أَنَّ الحضارةَ المادِّيَّةَ ، عجزَتْ عن تأمينِ التَّوازنِ النَّفسيِّ للإنسانِ ، وتحقيقِ السَّعادةِ ، على الرَّغمِ مِنَ المكاسِبِ الكبيرةِ الَّتي حصلَ عليها بالتَّقدُّمِ العلميِّ والتِّقني الَّذي أحرَزَه .

فالإنسانُ الغربيُّ أصلحَ كلَّ شيءٍ ، وفشِلَ في إصلاحِ نفسِهِ ، ألا يكفيهِ أنَّه ينفقُ ٨٤٠ مليارَ دولارٍ على التَّسليحِ كلَّ عامٍ ، وهذا إحصاءُ عام ١٩٨٧ م ، فكم ينفقُ الآنَ ؟

١١ يقول السِّيناتورُ الأمريكيُّ (وليم فولبرايت) ، الَّذي تولَّى رئاسةَ لجنةِ العلاقاتِ الخارجيَّةِ في الكونغرسِ الأمريكيِّ لعدَّةِ دوراتٍ ، وصاحب كتاب (حماقةُ القوَّة) ، يقول فولبرايت :

« لقد وضعْنا رجلاً على سَطْحِ القمرِ ، ولكنَّ أقدامَنا غائصةٌ في الوَحلِ » .

إنَّ العنفَ ـ لا محالَةَ ـ زائلٌ ، إذا سُمِحَ للنَّاسِ ، كلِّ النَّاس ، بتقديمِ آرائهم ، لا أنْ تفتحَ أبوابٌ في وجه أُناسٍ ، وتوصدَ في وجهِ أُناسٍ آخرينَ ، وأنا في صددِ تقديمِ كتابٍ اسمُهُ : (الحوار دائماً)[1] .

العنفُ ـ لا محالةَ زائلٌ ـ إذا اندرَجَ ضمنَ ضمانِ حقوقِ الإنسانِ ، لا مِنْ منظورِهِ الغربيِّ ، الَّذي يرى مِنْ حقٍّ فئةٍ المهجرةَ إلى أرضٍ واغتصابَها وتشريدَ شعبِها ، في حينِ أن اقتلاعَ شعبٍ وطرده من ديارِهِ ، بل وقتله ، لا يشكِّلُ انتهاكاً لحقوقِ الإنسانِ ، وما يجري من تصفيةٍ عرقيَّةٍ في البوسنةَ والهرسكِ ، مسألة داخليَّةٌ ، فللدِّيمقراطيَّةِ ، ولحقوقِ الإنسان عندَهُمْ وَجْهانِ ، حتَّى أعادوا النَّظرَ في تفسيرِ مفهومِ الدِّيمقراطيَّةِ (الأكثريَّةِ) ، فالأكثريَّةُ تُزعجُهُمْ إن نجحَتْ عَبْرَ صناديقِ الاقتراعِ ، إنْ لَمْ تَكُنْ مواليةً لَهُمْ !

---

(١) صدر ١٩٩٤ م عن دار الفكر بدمشق .

تحريرُ المرأةِ ممَّن ؟ وفيمَ حُرِّيتها ؟

ينـدبُ بعضُهم حـظَّ المرأةِ في الشرقِ ، وتراهم ينظرونَ إلى حرَّيـةِ المرأةِ الأُوربيـةِ حيثُ نـالتْ كامـلَ حريتِهـا ، وتسـاوتْ بالرَّجلِ وأكثر ، وقالوا : إنها هناكَ مكرَّمةٌ ، شـاركتِ الرجلَ في المصنـعِ ، وفي بنـاء الاقتصـادِ ، وفي مسيرةِ المجتمـعِ ، أمـا هنـا ، فحالُها مؤلمةٌ .

أيُّهـا الإخوةُ : إنَّ البحوثَ الاجتماعيَّـةَ عنِ المرأةِ العربيَّـةِ ، مقـارنـةً بـالمرأةِ الغربيـةِ ، تمَّتْ تحتَ إشرافِ الأممِ المتحـدةِ ، من السُّويد ..

مِنْ الدولةِ التي أعطتِ المرأةَ حريَّةً كاملةً ، السويـدُ ، حتى إنَّ فلسفـةَ التَّربيـةِ قـد تحررتْ تمـامـاً من تجهيزِ وإعـدادِ الـولـدِ ليكونَ رجلاً ، ومِنْ تجهيزِ وإعـدادِ البنتِ لتكـونَ امرأةً ، فليسَ في فلسفةِ التربيـةِ في السويـدِ التَّمييزُ بينَ تهيئـةِالـذَّكرِ للخشونـةِ وقساوةِ الحياةِ ، وتهيئـةِ البنتِ لتكون أُنثى ، والأُنوثـةُ لا تُعـاملُ برعـايـةٍ خـاصـةٍ لأنهـا أُنـوثــةٌ ، وهي لا تعــدُّ قرينــاً للضَعفِ

الطبيعيّ ، أو الرِّقَّة ، أو الدلالِ ، بل إنَّ كلاً من البنتِ والولدِ يُهَيّأان نفسياً للحياةِ على أساسٍ إنسانيٍّ محايدٍ ، حتى الجنسُ جرَّدوهُ من معنى السَّالبِ والموجبِ ، ولم تعدْ تُستعمل في القاموسِ السويديّ كلمة (إغواء) بالمعنى التقليديّ في لغاتٍ أخرى ، والتي تجعلُ انتهاكَ العِرضِ تهمةً قاصرةً على الرجال في حقِّ النساء ، ومِن تحصيلِ الحاصلِ أنَّ كلمة (عُذريَّة) انقرضت تماماً .

وحريةُ المرأةِ في السويدِ شملتِ الحملَ ، فالمرأةُ السويديةُ لا تريدُ أن تَفقِدَ حريتَها في المتعةِ والانطلاقِ ، ولا تريدُ أن تقاسيَ مِنَ الحملِ والولادةِ ، فهي تريدُ الطفلَ جاهزاً ، ولهذا فإنَّ الفتاةَ السويديةَ التي تريدُ التخلُّصَ من الولادةِ ، لا تتعبُ ولا تحتارُ ، بل فتاةٌ أُخرى تتقاضى أجراً ، لأنَّها قامت بمهمةِ الحملِ بالنيابةِ عنِ الزوجةِ التي لا تريدُ التعرُّضَ لهذهِ التجربةِ ، بل تريدُ أنْ تأخذَ الطفلَ جاهزاً ، وهذا هو السببُ في أنَّ الأنسابَ في السويدِ أصبحت : (سمك ، لبن ، تمر هندي) ، قمةُ الفوضى والضَّياع .

السويدُ التي تبدو كأنها تنتمي إلى جمهوريةِ أفلاطونَ ، حيثُ الدولةُ هيَ أُمُّ الطفلِ ، وهيَ لا تنظرُ إلى شهادةِ ميلادهِ ، ولا يهمها إن كانَ شرعياً أو غير شرعيٌّ ، وهي تُعفي الأمَّ التي أوصلتهُ إلى عتبةِ الحياةِ من أيِّ التزامٍ برعايته ، بل إنها تدفعُ لها مبلغاً من المالِ شهرياً عن كلِّ طفلٍ تضعهُ منذ لحظةِ الميلادِ ، وحتّى سنِّ السادسةَ عشرةَ .

السويدُ التي أحسَّ بها المواطنُ بالأمانِ والرَّفاهيةِ والنَّعيمِ ، إلى حدِّ أنها منحت في دستورِها حقَّ الإضرابِ عن العملِ في ظلِّ القانونِ لكلِّ فردٍ فيها ، حتى السَّجينُ السويديُّ ، يكاد يكونُ نزيلَ فندقٍ ، يُقدِّم الطعامَ والشرابَ لنزلائهِ ، ثمَّ يُقدِّمُ له أجراً على عملهِ في مصنعِ السجنِ ، وله حقٌّ استقبالِ الزُّوارِ مرةً كلَّ أُسبوعٍ لمدَّةِ ستِّ ساعاتٍ ، ولهُ الحقُّ في إجازةِ ثمانيةٍ وأربعينَ ساعةً كلَّ شهرٍ ، يقضيها مع زوجتهِ ، أو أسرتهِ ، ثمَّ يعودُ إلى السِّجنِ بعدَ انتهاءِ الإجازةِ .

مِنَ السويد ، مِنْ هذهِ البلادِ التي أعطتِ المرأةَ كلَّ شيءٍ ، أعطتها الحريَّةَ بكلِّ معانيها وحدودِها ، اختارتِ الأُممُ المتحدةُ

القاضية السويدية (بريجيدا أولف هامر) لدراسةِ مشكلاتِ المرأةِ الشرقيَّةِ العربيَّةِ على الطبيعةِ ، ومدى ما يصلُ إلى المرأةِ العربيَّةِ في مختلفِ بيئاتِها وتقاليدِها ، من حقوقِها المكفولَةِ لها في دساتيرِ وقوانينِ البلادِ العربيَّةِ ، فدرستْ (بريجيدا) المرأةَ في الشَّرق ، من أعماقِ المرأةِ الصَّعيديَّةِ في (أبي طشت) في صعيدِ مصرَ ، إلى أعماقِ المرأةِ التُّونسيَّةِ في (سيدي تمراز) في تونس ، إلى عمقِ أعماقِ المرأةِ اللِّيبيَّةِ في (مصراته) ، وإلى عمقِ أعماقِ المرأةِ العراقيَّةِ في السُّليمانيَّةِ .

وكانَ اعتقادُ القاضيةِ السُّويديَّةِ التي مارستِ الحرُّيَّةَ في بلادِها إلى أقصى حدودِها ، التي درستْ عن كثبٍ المرأةَ الشَّرقيَّةَ ، أنَّ المرأةَ الشَّرقيَّةَ في قطاعاتٍ كثيرةٍ وبارزةٍ مِنَ البلادِ العربيَّةِ التي زارتها ، أكثرُ حريَّةً مِنَ المرأةِ السويديَّةِ ، وقالت (بريجيدا) : المرأةُ القرويَّةُ في صعيدِ مصرَ ، والمرأةُ البدويَّةُ في أعماقِ فزّانَ بليبيةَ ، على الرَّغم من عزلَتِها عن المجتمع ، فإنَّها تمارسُ وضعاً ينتمي إلى القداسةِ لا إلى العبوديةِ ، وتتسلَّطُ على الرَّجلِ تسلُّطاً فعليّاً ، ابتداءً مِنْ شؤونِ النَّهارِ ، وانتهاءً بشجونِ اللَّيلِ .

وقالت (بريجيدا) : إنَّ للمرأةِ الشرقيَّةِ عالَمَها الحَالِمَ الخاصَّ ، وبعبارةٍ أُخرى ، فإنَّ المرأةَ الغربيَّةَ ـ والإسكنديناقيةَ بوجهٍ خاصٍّ ـ قد (داخت سبعَ دوخاتٍ) ، لكي تنالَ حرِّيتها في المساواةِ بالرَّجلِ ، إلا بعدَ أنْ جرَّدتها من صفاتِها الأُنثويةِ ، وحقوقِها الأُنثويَّةِ ، وحرِّيَّتها الأُنثويَّةِ ، لتجعلَ منها كائناً أقربَ إلى الرَّجلِ ، إنها حرِّيَّةُ ساكنِ الجنَّةِ الذي سعى إلى النُّزولِ إلى الأرضِ ، أو حريَّةُ الطَّاووسِ الذي سعى إلى أنْ يكونَ غُراباً ، وباختصار : هي حريَّةُ المرأةِ في أنْ تكونَ رجلاً .

وتضيفُ القاضيةُ السويديةُ قائلةً : إنَّ حريةَ المرأةِ العربيةِ تعايشُ حريةَ الرجلِ دونَ أن تمسَّهُ ، فكلٌّ منهما حرٌّ في ميدانهِ ، وبطريقتهِ الخاصَّةِ، أما المرأةُ الغربيَّةُ المنعمةُ فإنَّها تمارسُ حريَّةً تُنْقِصُ حريَّةَ الرَّجلِ وتخنُقها وتزاحمُها ، كما أباحَ القانونُ الحرِّيَّةَ الجنسيَّةَ للمرأةِ إلى أقصى حدٍّ ، لدرجةٍ جعلتِ الرَّجلَ هُوَ الفريسة ، والمرأةَ هي الصَّياد .

والنَّتيجةُ ـ على مستوى الأُمَّةِ ـ مذهلةٌ حقّاً .

ففي تقريرٍ رسميٍّ خطيرٍ لوزارةِ الشؤون الاجتماعيةِ السويديَّةِ ، تعلنُ الحكومةُ أنَّ ٢٥٪ من سكانِ السويدِ ، مصابونَ بأمراضٍ عصبيَّةٍ ، وأنَّ ٣٠٪ من مجموع المصروفاتِ الطِّبيَّةِ في السويدِ تنفقُ على علاجِ الأمراضِ العصبيةِ والنفسيَّةِ .

وتسفرُ ظاهرةُ انتشارِ الأمراضِ العصبيَّةِ عنْ نفسِها على هيئةِ ارتفاعٍ مذهلٍ في نسبة حوادثِ الانتحارِ ، ففي الفترة ما بين : ١٩٥١ ـ ١٩٦٨ تضاعفتْ حالاتُ انتحارِ النِّساء السويديَّاتِ ، وخصوصاً النِّساءُ اللَّواتي تتراوحُ أعمارُهُنَّ بينَ ٢٥ و ٢٩ سنة ، إذ زادت من ٦,٢ حالاتٍ مِنْ كلِّ ألفِ امرأةٍ ، إلى ١٢,١ حالةً ، في حينِ لم تسجل حالاتُ انتحارِ الرَّجلِ أيَّ ارتفاعٍ .

وتقولُ بريجيدا معلِّقةً : من المستحيلِ تجاهُلُ الرَّبط بينَ هذه النِّسبةِ المتضاعفةِ بهذا الشَّكلِ الغريبِ ، واضطرادِ الحرِّيةِ التي تمارسُها المرأةُ السويديةُ في الحقبةِ الزمنيَّة ذاتِها .

ومن مشكلاتِ السويدِ ، والتي نجمت عن حريةِ المرأةِ ،

مشكلةُ المسنِّينَ ، فالمسنُّونَ في السويد أتعسُ خلقِ اللهِ ، على الرَّغمِ من الرِّعايةِ الأسطوريَّةِ التي يُضفيها عليهم المجتمعُ ، فالإحساسُ بالوحدةِ والاغتراب ، يضفي نوعاً من القتامةِ والجهامةِ على المجتمعِ السويديِّ ، لارتفاع نسبةِ المسنِّينَ فيهِ ، فالأولادُ والبناتُ حين يكبرونَ يفترقونَ - بشكل طبيعيٍّ - عن عائلاتِهم ، وانخفاضُ نسبةِ الإنجابِ تزيدُ في قساوةِ الوحدةِ ، التي تكادُ تقضي على معنوياتِ الآباء ، وليسَ للمشاعرِ العائليةِ في مجتمعاتِهم قداسةٌ تشبهُ قداستَها في المجتمعاتِ الشرقيَّةِ ، ومن هنا يمكنُ تصوُّر الآلامِ النفسيَّةِ المفزعةِ التي يشعر بها المسنُّونَ في السويدِ .

شيءٌ واحدٌ يخفِّف مِن تجهُّمِ هذه الصورةِ في مستعمراتِ المسنِّينَ ، هوَ قَصَصُ الغرامِ التي تنشبُ بينَ العجائزِ بعدَ سِنِّ السَّبعينَ ، وأحياناً بعدَ سِنِّ الثمانينَ ، ولكنْ سرعانَ ما يدب الخلافُ ، ويلجأُ الجميعُ إلى ساحاتِ الطَّلاقِ ، الأمرُ الذي يجعلُ حياةَ هؤلاء الناسِ خليطاً مِنَ المأساةِ والملهاةِ .

هذا ما قالتهُ القاضيةُ السويديَّةُ (بريجيدا أُولف هامر) بمناسبة عامِ المرأةِ ١٩٧٥ .

وتقولُ : إنَّ نسبةَ الطَّلاقِ في السويدِ هي أكبرُ نسبةٍ في العالم ، طبقاً للإحصاءات التي أعدَّتها وزارةُ الشؤونِ الاجتماعيةِ بالسويدِ ، فإنَّ أيَّ سببٍ بسيطٍ يقدِّمُهُ أحدُ الزَّوجينِ يمكنُ أن يتمَّ بهِ الطَّلاقُ ، وهذا التَّخبُّطُ في حياةِ الأُسرةِ والزَّوجيَّةِ يسودُ النَّروجَ والدنمارك ، والحالُ في عددٍ آخرَ منْ دولِ العالمِ ، لا تقلُّ عن هذهِ الحالِ[1] .

دراساتٌ تنطقُ بالألم والحسرةِ ، وبالنَّتائجِ المحزنةِ .

أيُّها الإخوةُ : تحرُّرُ المرأةِ ، دونَ تحديدٍ لمفهومِ الحريَّةِ ، أمرٌ خطيرٌ جداً على مستوى الفردِ ، وعلى مستوى المجتمعِ .

هل تحرُّرُ المرأةِ أنْ تتحوَّلَ إلى أداةِ متعةٍ ومفاتنَ ، جسدُها هوَ الوسيلةُ إلى بلوغِ هذهِ المتعةِ[2] ؟

تحررُ المرأةِ ، دونَ تحديدٍ لمفهومِ الحريَّةِ ، أمرٌ خطيرٌ ، فعددٌ لا بأسَ بهِ ، جعلهُ انفلاتَ المرأةِ مِن حشمتِها ، ومِنَ النُّظمِ التي

(١) الأسبوع العربي ، العدد ٨٢٠ ، الإثنين ٢٤ شباط ١٩٧٥ م .

(٢) قارن بين استقبال راقصةٍ في بلدٍ ، وبين استقبال عالمٍ ، أو أستاذٍ مخترعٍ ، أو مفكرٍ باحثٍ !! .

ترسمُ خطوطاً واضحةً لتنظيمِ العلاقةِ بينَ الجنسَينِ ، وهذهِ الخطوطُ الواضحةُ لا ترضيهم ، لأنها لا تُرضي غرائِزهُم الجامحةَ ، فطالبوا بالفوضويَّةِ ، ولكن تحتَ كلمةٍ عذبةٍ في المسامعِ ، إنَّها (الحُريَّةُ) .

أيُّها الإخوةُ :

ما يُحسبُ على الإسلامِ ، هُوَ الذي ينشأُ وفقَ أحكامِهِ وأُصولِهِ وتصوُّراتِهِ وشرعتِهِ وموازينهِ ، أما ما يقعُ في المجتمعِ الذي ينتسبُ إلى الإسلامِ خارجاً على أُصولِهِ ومراميهِ ، فلا يجوزُ أنْ يُحْسَبَ منهُ ، لأنه انحرافٌ عنهُ .

ومسألةُ تحرُّرِ المرأةِ ، لا تعالجُ بسلسلةٍ مِنْ أحكامِ الحلالِ والحرامِ تتَّسعُ دائرتُها وتضيقُ ، حسب درجاتِ التطورِ الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ ، بل حسبَ مبادئ ثابتة .

أيُّها الإخوة :

التزمتِ اليونانُ بالعلاقةِ غيرِ الشرعيَّةِ بينَ الرَّجلِ والمرأةِ ، فمِنْ آلهتهم الإلهةُ أفروديت ، التي خانتْ ثلاثةَ آلهةٍ ، وهي زوجةُ

إلهٍ ـ حسبَ عقيدتهم ـ وكانَ من أخدانِها رجلٌ مِن عامَّةِ البشرِ ، فولدت كيوبيد ، إلهَ الحبِّ عندهم .

وكانَ عقدُ زواجِ الفتـاةِ مع زوجهـا عنـدَ الرُّومـانِ يُسمَّى : (اتفاق السِّيادةِ)[1] .

وفي شريعــة حمـورابي ، تُحْسَبُ المرأةُ في عــدادِ المــاشيــةِ المملوكةِ .

وفي شريعة مانو في الهندِ ، المرأةُ قاصرٌ طيلـةَ حيـاتِهـا ، ولم يكن لها حقٌّ في الحياةِ بعدَ وفاةِ زوجها ، بل يجبُ أن تموتَ يومَ موتِ زوجهـا ، وأن تُحْرَقَ معـه وهيَ حيَّـة على موقـدٍ واحـد ، وبقيت الحال كـذلـك حتَّى القرنِ السَّـابع عشَر ، حيث أُبطلتْ على كرهٍ من رجالِ الدينِ الهنودِ .

وفي اليهوديَّةِ : المرأةُ أمرُّ مِنَ الموتِ ، إنَّهـا لعنـةٌ ، وفي سفر التكوين ١٦/٣ : « وإلى رَجُلِـكِ يكونُ اشتيـاقُـكِ ، وهو يسودُ عليكِ » ، أما في التَّلمودِ البابلي (المرأة) فهي دُون نجسةٌ .

(١) تـاريـخُ الحقـوقِ الرومـانيِّ ، الـدكتـور معروف الـدَّواليبي ، والمرأة عنـدَ اليونانِ ، والمرأةُ عندَ الرُّومانِ ، الدكتور محمود سلام زناتي .

وصمتَ السيِّـدُ المسيحُ عليـه السَّلام عن حقِّ المرأةِ ، وقـال : « أيَّتُها المرأةُ ، مـا لي ولـكِ » ، أوِّلوهـا كما شئتُم ، وفسِّروهـا كما أردتُمْ ، فـالمرأةُ في اعتقـادِ وعقيـدةِ الأوربيينَ حتى مئتي سنــةٍ : مطيَّةُ الشَّيطانِ ، وهي العقربُ الذي لا يتردَّد قـط عن لـدغِ أيِّ إنسـان ، وهي الأفعى التي تنفثُ السُّمَ الزُّعـافَ ، وهي اللعـابُ الذي يسيلُ مِن فَمِ الأُفعوانِ .

وفي أوربـةَ انعقـدَ مـؤتمرٌ في فرنسـةَ عـام ٥٨٦ م ، أي أيـامَ شبـابِ النبي ﷺ ، للبحثِ هـل تعـدُّ المرأةُ إنســانـاً ، أم غيرَ إنسـانٍ ؟ وأخيراً قرَّروا : إنَّهـا إنسـانٌ خُلقتْ لخـدمــةِ الرَّجـلِ فحسب !

والقانونُ الإنكليزيُّ حتى عـام ١٨٠٥ م كانَ يبيحُ للرجلِ أن يبيعَ زوجتَهُ بستةِ بنساتٍ فقـط ، فقـد حـدثَ أنْ بـاعَ إنكليزيٌّ زوجتَهُ عام ١٩٣١ بخمسِ مئةِ جنيه ، وفي المحكمةِ قالَ محـاميـهِ في الـدِّفـاعِ عنـهُ : إنَّ القـانونَ الإنكليزي قبل مئـةِ عـامٍ كانَ يبيحُ للزَّوجِ أنْ يبيعَ زوجتَهُ ، ولكنَّ المحكمةَ قرَّرتْ سجنَـهُ عَشَرَة أشهرٍ لأنَّ القانونَ أُلغي عامَ ١٨٠٥ م .

حتَّى الثَّـورةُ الفرنسيَّـةُ التي أعلنَتْ تحريرَ الإنسـانِ مِنَ العبـوديَّـةِ والمهـانـةِ ، لم تشمـلِ المرأةَ بحنوِّهـا ، والقـاصرونَ في عرفهـا : الصَّبيُّ ، والمجنـونُ ، والمرأةُ ، واستمرَّ ذلـكَ حتى عـامِ ١٩٣٨ م ، حيثُ عُدِّلتْ هذه النُّصوصُ لمصلحةِ المرأةِ .

فتحريرُ المرأةِ ، أمرٌ طبيعيٌّ مطلوبٌ في مجتمعٍ ظَلَمَ المرأةَ ، في مجتمعٍ يعتقدُ : « ماذا تقولينَ أيتُهـا المرأةُ ؟ إنـك قـد أصبحتِ لا تملكينَ لذاتِكِ بدناً ، فهل يبقى لكِ مالٌ تملكينَهُ ؟ » .

أما في عقيدةٍ اعترفت بكامل إنسـانيتِهـا ، كالرَّجلِ تمـاماً ، وفتحت أمـامهـا مجـالَ التَّعليمِ ، وأسبغت عليهـا مكانـاً اجتماعيَّـاً كريماً في مختلفِ مراحلِ حياتِها ، تنمو هـذهِ الكرامـةُ بنموِّ سنِّهـا : من طفلةٍ إلى زوجةٍ إلى أُمٍّ ، حيث تكونُ في سنِّ الشَّيخوخةِ التي تحتـاجُ معهـا إلى مـزيـدٍ مِنَ الحبِّ والحُنُوِّ والإكرامِ ، المرأةُ في عقيدةٍ اعترفَتْ بكاملِ إنسانيتها ، مع الأهليَّـةِ المـاليَّـةِ الكاملـةِ ، حيثُ لم تجعلْ لأحدٍ عليها ولايةً بعدَ سنِّ الرُّشدِ ، مِمَّ نحررها ؟

الرَّجلُ والمرأةُ في الإسلام ، من أصلٍ واحدٍ :

﴿ ياأيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الذي خَلَقكُم من نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُما رَجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللهَ الذي تَساءَلونَ بِهِ وَالأرحَامَ إنَّ اللهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ ، [النساء : ٤/١] .

ومسؤوليتُها الإنسانيَّةُ الكاملةُ صانها الإسلامُ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالحاتِ من ذَكَرٍ أو أُنثى وهُوَ مُؤمِنٌ فأولئكَ يدخُلُونَ الجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نَقيراً ﴾ ، [النساء : ٤/١٢٤] .

وأكَّد على استقلالِ شخصيتها : ﴿ وَعَدَ اللهُ المؤمِنينَ وَالمؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْري مِن تَحتها الأنهارُ خَالِدينَ فيها وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً في جنَّاتِ عَدْنٍ ورِضوانٌ مِنَ اللهِ أكبَرُ ذلكَ هُوَ الفوزُ العظيمُ ﴾ ، [التوبة : ٩/٧٢] .

لقد أعتقتْ ميمونةُ أُمُّ المؤمنينَ جاريتَها دون علمِ رسولِ الله ﷺ ، [البخاري] .

وأمُّ سليمٍ بنتُ مِلحانَ تهدي رسول الله ﷺ يومَ عُرْسِهِ ، وذلكَ باسمها ، لا باسمِ زوجِها ، قالت : ياأنسُ . اذهبْ بهذا إلى

رسولِ اللهِ ﷺ فقال : بَعَثَتْ بهذا إليكَ أُمِّي ، وهيَ تقرئُكَ السَّلامَ ، وتقولُ : إنَّ هذا لكَ مِنّا قليلٌ يا رسولَ اللهِ ، [مسلم] .

وعاتكةُ بنتُ زيدٍ تتمسَّكُ بحقِّها في صلاةِ الجماعةِ بالمسجدِ ، دونَ رضا زوجِها ، قالَ لها ابنُ عمرَ : لِمَ تَخرجين ـ لصلاةِ الصُّبحِ والعِشَاءِ ـ وقد تعلمينَ أَنَّ عمرَ يكرهُ ذلكَ ويغارُ ؟ قالت : وما يمنعُه أنْ ينهاني ؟ قال : يمنعهُ قولُ رسولِ الله ﷺ : لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ اللهَ . قال الزُّهري : فلقد طُعِنَ عمرُ وإنَّها لفي المسجد ، [فتح الباري : ٣٤/٣] .

وأسماء بنتُ أَبي بكرٍ تعمل خارجَ البيتِ لمصلحةِ الأُسرةِ ، قالت : كنتُ أَنقلُ النَّوى من أَرضِ الزُّبيرِ التي أَقطعهُ رسولُ اللهِ ﷺ على رأسي ، وهي منِّي على ثلثي فرسخٍ[1] ، [البخاري ومسلم] .

وجاريةٌ لكعبِ بن مالكٍ كانت ترعى غنماً بسلعٍ ، فأصيبتْ

(١) الفرسخ الشرعي /٥٥٤٤م ، كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ، ابن الرفعة الأَنصاري [ت : ٧١٠هـ] ، ص٨٩ .

شاةً منها ، فأدركَتْها فذبحتْها بحجرٍ ، فسُئِل رَسولُ اللهِ ﷺ فقال : كلوها ، [البخاري] .

خالةُ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ أرادت أنْ تقطعَ ثمار نخلِها في عِدَّتها ، فقيلَ لها لا تخرجي ، فأتت رسول اللهِ ﷺ فقالَ : بلْ فجدِّي ـ اقطعي ثمارَ نخلِك ـ فإنَّك عسى أن تصدقي . أو تفعلي معروفاً ، [مسلم] .

وفي البخاري ومسلم ، عن أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ : ذهبتْ إلى رسولِ الله ﷺ عامَ الفتحِ ، فسلَّمتْ عليهِ ، فقالَ : مرحباً بأُمِّ هانئ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، زعم ابنُ أُمِّي عليٌّ بنُ أبي طالبٍ أنَّهُ قاتلٌ رجلاً قد أجرتُه ـ أمَّنته ـ فقالَ رسول اللهِ ﷺ : قد أجرنا من أجرتِ يا أمَّ هانئ .

لقد كانتِ المرأة كالرجل ، تشاركُهُ في مواضيعِ السَّاعةِ ، شاركتْه في وجوبِ الهجرة : ﴿ إن الَّذين تَوفَّاهُمُ الملائكةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنْتُم قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْضِ قَالُوا أَلَم تَكُن أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئكَ مَأواهُم

جَهَنَّمُ وسَاءَتْ مَصِيراً ☆ إلاَّ الْمُسْتَضْعفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّساءِ وَالوِلْدَانِ لاَ يستطيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدونَ سبيلاً ☆ فَأُولئكَ عَسَى اللهُ أن يَعْفُوَ عَنْهُم وَكانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً .. ﴾ [النِّساء : ٩٧/٤ ـ ٩٩] .

ونجدها تشاركُ الرِّجالَ في مبايعةِ رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ يَاأَيُّها النَّبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعْنَكَ عَلى أَن لا يُشْرِكْنَ باللهِ شَيئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أولادَهُنَّ وَلاَ يأتِينَ بِبُهتانٍ يَفْتَرِينَهُ بينَ أيديهنَّ وأَرجُلِهنَّ وَلاَ يَعْصينَكَ في معروفٍ فَبَايِعْهُنَّ واسْتَغْفِر لَهُنَّ اللهَ إن اللهَ غفورٌ رَحيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٢/٦٠] .

ونجدها تشاركُ الرِّجالَ الشَّدائدَ ، وتشاركُهمْ في الحياةِ الاجتماعيَّةِ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما إنَّ اللهِ سَميعٌ بَصيرٌ ﴾ [المجادلة : ١/٥٨] .

مشاركةً معَ الحفاظِ على سمعتِها وكرامتِها : ﴿ وَالَّذينَ

يَرْمُونَ الْمُحْصَنات ِ ثُمَّ لم يأْتُوا بِأَرْبَعةِ شُهَداءَ فَاجلِدُوهُمْ ثَمانينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبداً وَأُولئكَ هُمُ الفاسِقُونَ ☆ إلاَّ الَّذينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذلكَ وَأَصْلَحُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ ﴾ [النور : ٤/٢٤ ـ ٥] .

هذا .. ولقد شاركتِ المرأةُ في روايةِ السُّنَّةِ وتعليمها للنَّاس ، حتى قالَ الحافظُ الذَّهبيُّ : « لم يؤثر عنِ امرأةٍ أَنَّها كذبتْ في حديث »[1] .

ولكي لا أُطيلَ ، أُعدِّد بعض مشاركاتِ المرأةِ في زمنِ رسولِ اللهِ ﷺ ، لقد شاركتْ في الاحتفالاتِ العامَّةِ :

ـ الاحتفالِ بالأَعراسِ ، وبالعيدين .

ـ وتلبيةِ الدعوةِ لاجتماع عامٍّ بالمسجدِ يدعو إليه مؤذِّنُ رسولِ الله ﷺ .

ـ ومطالبة رسولِ الله ﷺ بدرسٍ خاصٍ للنِّساء ، لأنَّ الرجالَ يغلبونَهنّ عليه في المسجد .

ـ وكانت تذهب وتستفتي بنفسها رسول الله ﷺ في

(١) مقدّمة الميزان للذهبي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

قضاياها الخاصَّةِ والعامَّةِ ، قال ﷺ : « نعم النِّساءُ نساءُ الأنصارِ ، لم يكن يمنعهنَّ الحياءُ أنْ يتفقَّهنَ في الدين » ، [مسلم] .

ـ وتأمر الرجال بالمعروف وتنهاهم عن المنكر .

ـ وتستقبل الضُّيوف وفيهم رسولُ اللهِ ، وتقدِّم لهمُ الطَّعامَ .

ـ وتخدمُ الضُّيوفَ الرِّجالَ في وليمة عرسها ، وتتحفُ رسول الله بشرابٍ طيِّبٍ .

ـ وتعتكفُ العشرَ الأواخر من رمضان في مسجد رسول الله ﷺ .

ـ وتشاركُ في الغزواتِ ، ففي غزوةِ خيبرَ مثلاً ، شاركت عشرون امرأة فيهن صفيَّةُ عمَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ ، وأُمُّ سليم[1] ، وأُمُّ عطيَّةَ الأنصاريةِ[2] ، قلنَ : يا رسول اللهِ ، قد أردنا الخروج

(1) أم سليم (رميلة ، الغُميصاء) بنت مِلْحان البخارية الأنصارية ، [٧٤٧١ أسد الغابة] .

(2) اسمها نسيبة بنت الحارث [أُسد الغابة : ٣٨/٧] : كانت من كبار نساء الصَّحابة ، وتغزو مع رسول الله ﷺ .

معــك : نعين المسلمينَ مــا استطعنــا ، ننــاول السِّهــام ونسقي السَّـويـق ، ومعنـا دواءٌ للجرحى ، ونغـزل الشَّعرَ فَنُعينُ بــه في سبيل الله .

فقال ﷺ : على بركةِ اللهِ .

لقد شاركتِ المرأةُ المسلمةُ الرَّجلَ المسلمَ في جهادِهِ أيَّامَ رسولِ الله ﷺ ، وتحمَّلتْ المسؤوليَّةَ الَّتي تناسبُ أنوثتها ، كلٌّ ذلـكَ في جوٍّ ملائكيٍّ مِنَ الطُّهرِ والعفافِ مِنَ الطَّرفينِ .

وفي الخندق ، أقامَ ﷺ مشفًى ميدانياً ، وحينَ أُصيبَ سعدٌ قـال ﷺ لقومِـهِ : « اجعلـوهُ في خيمـةِ رفيـدةَ حتَّى أعـودَهُ مِنْ قريبٍ » ، وكانت خيمـةُ رفيـدةَ في مسجـدِهِ ﷺ ، حيثُ داوَتْ رفيدةُ الجرحى ، محتسبـةً نفسهـا على خـدمـةِ جرحى المسلمينَ ، وكانَ رسولُ اللهِ يمرُّ بسعدٍ وَهُوَ في خيمـةِ رفيـدةَ فيقول : « كَيْفَ أمْسَيْتَ ؟ وكَيْفَ أصبحْتَ ؟ » ، فيخبرهُ[1] .

---

(١) للتَّوسُّع : (تحرير المرأة في عصر الرِّسـالـة) لعبـد الحليم أبـو شقَّــة ، دار القلم ـ الكويت .

لقد شاركتِ المرأةُ مجتمَعَها أُمورَهُ ، وهي أَميرةٌ في أُسرةٍ ترفرفُ عليها المودَّةُ والرَّحمةُ : ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِن أَنْفُسِكُم أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بينَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يتفكَّرونَ ﴾ [الروم : ٣٠/٢١] .

في هذا البيتِ المسلمِ ، حيثُ المودَّةُ والرَّحمةُ ، نذكرُ أَنْ البخاريَّ أوردَ عمل المرأةِ بصناعةٍ منزليةٍ ، الغَزْلُ والنَّسيجُ ، حيثُ صُنْعُ الشَّملات .

أَيُّها الإخوةُ : لنْ تتحرَّرَ المرأةُ اليومَ ، ولَنْ تعودَ إلى دورِها الفاعِل كما كانَ في عصرِ الرَّسالةِ ، إلا بتحرُّرِ الرَّجلِ مِنْ سوءِ فهمِ بعضِ النُّصوصِ ، الَّتي ما عَرفَ مناسبتَها ، ولا الموقفَ الَّذي قيلتْ فيه .

فنحنُ نعلمُ في الإسلام : « إنَّما النِّساءُ شقائقُ الرِّجال » ، [الإمام أحمد / الترمذي / أبو داود] .
ونعلمُ أَنَّ القرآنَ الكريمَ أَوردَ كلمةَ رجلٍ مفردةً ٢٤ مرَّة ، وأَوردَ كلمةَ امرأةٍ مفردة ٢٤ مرَّة أيضاً ، فمة المساواة .

ونفهمُ مِنْ حديثِ : « يا معشَر النِّساءِ ، ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجلِ الحازمِ مِن إحداكنَّ » . [متفق عليه] . أنَّهُ قيلَ يومَ عيدٍ . فلا يعقلُ مِنْ رسولِ اللهِ صاحبِ الْخُلُق العظيمِ أنْ ينقِصَ من شأنِ النِّساء ، أو يحطَّ مِنْ كرامتِهنَّ في مناسبةٍ بهيجةٍ ، فليست صيغةُ الحديث صيغَةَ تقريرٍ ، ولا قاعدةً عامَّةً أو حكماً عاماً ، إنَّها صيغةُ تعجُّبٍ مِن التَّناقضِ القائمِ في ظاهرةِ النِّساءِ الأنصارياتِ ، اللَّواتي فيهنَّ رقةٌ ونعومةٌ ، وعلى الرَّغمِ مِنْ ذلكَ كلمتهنَّ هي العليا عندَ الرجالِ ذوي الحزمِ ، أي كلُّ ما في الأمرِ التَّعجُّب مِنْ حكمةِ اللهِ : كيفَ وضعَ القوَّةَ حيث مَظَنَّةُ الضَّعف ، وأخرجَ الضَّعفَ منْ مظنَّةِ القوَّة .

انحرفَ المسلمونَ عنْ تعاليمِ دينهم في معاملةِ النِّساءِ . وشاعتْ بينهمْ رواياتٌ ظالمةٌ ، وأحاديثُ إمَّا موضوعةٌ ، أو قريبةٌ مِنَ الوضعِ ، انتهت بالمرأةِ المسلمةِ إلى الجهلِ والعزلةِ ، حتَّى قالوا : تخرجُ المرأةُ مرَّةً منْ بيتِ أبيها إلى بيتِ زوجِها ، ومرةً ثانيةً مِنْ بيتِ زوجها إلى القبرِ .

وَوُجِد مِنَ الآباءِ - باسم الدِّين - مَنْ يزوِّجُ ابنته بغيرِ رضاها ، بلْ بغيرِ استشارتها واستشفافِ رأيها . وهذا - مع الأسفِ - موجودٌ في بعضِ الآراءِ المذهبيَّةِ ، ولكنَّ ابنَ تيميةَ وتلميذَهُ ابن القيم رفضا ذلك كليّاً .

أحاديثُ موضوعةٌ ، لا صحةَ لها ، مثلُ : شاوروهُنَّ وخالفوهُنَّ ، وسألَ ﷺ ابنتَهُ الزَّهراءَ : أيُّ شيءٍ أصلحُ للمرأةِ ؟ فقالت : ألاّ ترى رجلاً ، ولا يراها رجلٌ ، فقبَّلها ثمَّ قال : ذرِّيَّةٌ بعضُها مِنْ بعضٍ ، حديثٌ واهٍ لا يساوي المدادَ الَّذي كُتِبَ بهِ .

ونُسِبَ إلى عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ قولُهُ : المرأةُ شرٌّ كلُّها ، وشرُّ ما فيها أنَّهُ لا بدَّ منها ، كلامٌ موضوعٌ ، ومثلُه القولُ المنسوبُ إلى رسولِ الله ﷺ : دفن البناتِ مِنَ المكرماتِ ، حديثٌ موضوعٌ ، وهناكَ مَنْ كَتَبَ عَنْ فائدةِ موتِها وتمنّيه .

المرأةُ في الإسلامِ (المحصنةُ) ، منارةُ العفَّةِ والفضيلةِ : ﴿ ولهنَّ مثلُ الَّذي عليهنَّ بالمعروفِ ﴾ [البقرة : ٢/٢٢٨] ، وماتَ ﷺ وَهُوَ يوصي بها خيراً ، عِلْمٌ إلى أرفعِ درجاتِه ، ما المانعُ

الشَّرعيُّ ؟! عملٌ ، نَعَمْ ، بما يناسبُ أنوثتَها وطبيعةَ تكوينها ، ولقدْ أثبتَتْ نجاحَها في التَّعليمِ ، وفي الطِّبِّ ، وفي الصَّيدلةِ ، وفي العلومِ الإنسانيَّةِ . فإذا اقتنعنا أن لا للجهلَ ، وأن لا للنُّصوصِ الموضوعةِ ، نجدُ أنفسنا أمامَ دينٍ ليسَ فيه حقوقٌ للمرأةِ ، ولا حقوقَ للرَّجل ، إنَّها حقوقٌ للأُسرةِ ، حقوقَ الأبناءِ ، حقوقَ الأُسرةِ المطمئنةِ الآمنةِ السَّعيدةِ .

ولنْ ترفرف هذه الأُسرةُ في أيِّ مجتمعٍ ، ولنْ تحلِّقَ بجناحَيْنِ متباينَيْنِ ، لَنْ تحلِّق عالياً إلاَّ بجناحَيْنِ متكافِئَينِ ، فالمرأةُ نصفُ المجتمعِ ، وترعى نصفه الآخرَ بحكمِ موقِعِها المؤثِّر في زوجها وأولادِها ومحيطها .

ويظهر جليّاً أنَّ الَّذين هاجَموا الرؤيا الإسلاميَّة للأُسرةِ مثقَّفون مِنْ طرفٍ واحدٍ ، لم يطَّلعوا على الإسلامِ كُلاًّ بموضوعيَّةٍ ، وإنِ اطَّلعوا فاطلاعٌ عابرٌ سريعٌ لأخذِ نقاطٍ مبتورةٍ ترضي ما يرغبونَ ، مستغلِّينَ فتاوى بعضِ العلماءِ وتصريحاتِهم وتصرُّفاتِهم ، الَّذينَ لمْ يمحِّصوا النُّصوصَ ، ولَمْ يوثِّقوا ما قالوا ، يقولُ ڤولتير في مقالتِهِ عن القرآنِ ، الَّتي ظهرَتْ في معجمِ

فلسفتِهِ : « لقد نسبنا إلى القرآنِ كثيراً مِنَ الأباطيلِ ، ولكنَّـهُ في الحقيقةِ براءٌ منها » .

تحريرُ المرأةِ محقَّق مِنَ النُّصوص الصَّحيحةِ ، إلاّ إذا أُريدَ مِنْ تحريرها أنْ تتحوَّلَ إلى أداةِ متعةٍ ، حيثُ مفاتنُ جسدِها وعُرْيُها هما الوسيلةُ إلى بلوغِ هذه المتعةِ ، فكأنَّ تحريرَ المرأة حريَّةُ العلاقاتِ الجنسيَّةِ ، ومِن إحصائيةٍ نشرتْ عام ١٩٨٥[1] أقتطفُ التَّالي :

- ١٢ مليون طفل بلا أب - غير شرعيين - في أمريكا في عامٍ واحدٍ .

- ٢٥٠ مليوناً يصابون بالسَّيَلانِ - مرض جنسي معروف - سنوياً في العام .

- ٧٥٪ من الأزواجِ يخونون زوجاتِهم في أُوربة .

- حالةُ طلاقٍ بَيْنَ كلِّ حالَتْي زواجٍ في بريطانية .

- وشاع نكاح المحارم عِندهُمْ ، ٤٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠

---

(١) رسالة الجامعة ، العدد ٢٨٧ ، السبت ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ ، السنة ١١ ، ص١٣ .

مصابون بالإيدز ، وَ : ٢٥٠٠ مليونَ دولارٍ سنوياً لمحاربةِ الإيدز ، وقد ينجحون وقد لا ينجحون في محاربته .

ـ أَمَّا الشذوذُ ، فحدِّث ولا حرجَ ، نشرت مجلة الوحدة الإسلاميَّة العدد ٩١ ، أَيلول ١٩٨٧ صورة فيها القس دوسيه[1] يعقد قران شابين فرنسيين تزوجا حديثاً !

كتبت مارلين مونرو بخط يدها قبل انتحارها رسالةً إلى فتاةٍ تريد العملَ في السِّينما : « احذري المجدَ ، احذري كلَّ من يخدعُكِ بالأَضواء ، إنِّي أَتعسُ امرأَةٍ على هذهِ الأَرضِ ، لم أستطعْ أَنْ أكونَ أُمّاً ، إنّي امرأَةٌ أُفضِّلُ البيتَ ، الحياةَ العائليَّةَ الشّريفةَ على كلِّ شيء ، إنَّ سعادةَ المرأةِ الحقيقيةِ في الحياةِ العائليَّةِ الشَّريفةِ الطَّاهرةِ ، بل إنَّ هذه الحياةَ العائليَّةَ لهيَ رمزُ سعادَةِ المرأةِ ، بل الإنسانيَّةُ .

لقد ظلمني كلُّ النَّاسِ .. وإنَّ العملَ في السِّينما يجعلُ مِن

---

(١) الذي يرأس مركز الكهنة الحر ، والذي يضم ١٧٠٠ كاهن منظَّم من الشَّاذين .

المرأةِ سلعــةً رخيصــةً تــافهــةً مهما نــالت من المجــدِ والشُّهرةِ الزَّائفةِ »[1] .

أيُّها الإخوةُ : ربُّوا المرأةَ على الفضيلةِ ، وعلِّموها حتى تنالَ أرقى درجاتِ العلمِ ، ثمَّ دعوها تخرجْ لهدفٍ سامٍ ، وعملٍ منتجٍ ، فطهرها ، وعفافها ، وعلمها ورسـالتُهـا كافيـةٌ لتحصينهـا منْ أنْ تكونَ سلعةً في المجتمع .

وإن تحدَّثتم عن تحريرِها ، تحدَّثوا عنْ تحريرِ الرَّجل مَعَها ، ولا تجعلوا التَّحرير كشفَ مفاتِنَ ، والعملَ (سكرتيرة) وراءَ آلةٍ كاتبةٍ ، فهذا أوصلَ الأسرةَ الغربيَّـة إلى شقـاءٍ ، وأوصل المجتمع إلى تفكُّكِ لبنته الأُولى ، واجعلوا التحرُّر مرتبطـاً بـالعقل والفكر ، لا بالجسد والمفاتن ، فإن تحرَّر العقل ، سَتُشْبَعُ حـاجـاتُ الجسدِ الفطريَّـةُ مِنْ خلالِ قنـواتِ منظَّمـةٍ سليمـةٍ ، لا تترك إلاَّ الآثـارَ الطَّيبةَ في المجتمعِ السَّليمِ المعافى .

المرأةُ نصفُ المجتمع ، وإحدى رئتيه ، فلا يُقبل شرعـاً وعقلاً تعطيل إحدى رئتيه .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ، ص : ٣ .

وانطلاقتها في الحياة لا شك فيها ، ولكنْ دونَ مجالٍ لاستغلالِ أنوثتها بما يرهقُها ويؤدِّي إلى شقائها ، رجاء ألاَّ تقع فيما وقعت فيه أختها في الغرب ، بما ضجَّ منه عقلاءُ القومِ ومفكروهم الأحرار .

« قضيةُ المرأةِ هي قضيةُ كلِّ أبٍ ، وكلِّ ابن ، وما دام في الدُّنيا آباءٌ وأبناءٌ ، ففي الدُّنيا احترامٌ عميق لكرامةِ النِّساءِ ، والَّذينَ لا يفرِّقونَ بينَ الكرامةِ والابتزاز ، هم غارقونَ في الأوهامِ والأوحالِ »[1] .

فإن قيلَ : تحريرُ المرأةِ ، قلنا مِمَّن ؟ وحرِّيَّتُها في ماذا ؟ فإن كان تحريرُها من الجهلِ والخرافاتِ والأُميَّةِ قلنا نعم ، وإن كان تحريرُها إعطاءَها دورَها الفاعلِ في بناءِ الأسرة وبالتالي المجتمعِ الفاضلِ ، قلنا نعم . وإن كانت حريتُها في التخلص من شوائب ليست من الدين في شيء ، قلنا نعم .

إما إذا قالوا تحريرُ المرأة ، وعَنَوا خروجها من حشمتها ،

---

(١) المرآة بين الفقه والقانون ، ص : ٣ .

قلنا لا ، فآثارُ خروجها من حشتها في المجتمع الغربي آثارٌ قاتلة .

أيها الإخوة : العالَمُ يُفتشُ عن طمأنينةٍ روحيةٍ ، وراحةٍ نفسيَّة ، بعد أن أبعدته المادةُ عن إنسانيته ، وأضلَّه الطمعُ والجشعُ ، وأَراه يتلمَّسُ طريقاً ، ولن يجد ضالتَه المنشودة إلا بالإسلام ، وسيتحقَّقُ مضمونُ الآيةِ الكريمةِ من سورة الفتح : ﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدينِ الْحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الّدينِ كُلِّهِ وكَفى بِاللهِ شهيداً ﴾ .

والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً

مُلْحَقٌ

وأُضيف هذا الملحق لتوضيح بعض الأُمور المتعلِّقة بمكانة المرأة في الإسلام ، وهي :

١ ـ القوامة .

٢ ـ الميراث .

٣ ـ الشهادة .

٤ ـ النُّشوز .

٥ ـ الحجاب .

٦ ـ عمل المرأة .

٧ ـ التّعدّد .

٨ ـ كيف نعامل الأهل ؟

٩ ـ الْمُجَادلة .

١٠ ـ يهمنا المضمون .

☆ ☆ ☆

- ١ -

القِوَامة :

أَحد الأَساتذة الكبار ـ رحمه الله ـ كانت له عبارات مختصرة دقيقة في إجاباته ، سُئِل مرَّة : ما الحرب ؟ فأَجاب : فشل السِّياسة ، وسُئِل مرَّة أُخرى : لماذا أَباح الإسلام الرَّقيق ؟ فأَجاب : معاملة بالمِثْل ، وهكذا :

ومن هذا القبيل : ما القِوَامة ؟ والجواب : مسؤوليَّة .

أَو : إدارة أُسرة يرفرف عليها جناحان : المودَّة والرَّحمة ، مع إعفاء المرأَة وإراحتها من الأَعباء الماليَّة ، فحقوق الأَبناء والزَّوجة في ذِمَّة الرَّجل .

جاء في اللِّسان (قوم) : ﴿ الرِّجالُ قَوَّامونَ على النِّساءِ ﴾ [النساء : ٢٤/٤] ، الرِّجال متكلِّفون بأُمور النِّساء ، معنيُّون بشؤونهن .

ومن الـدَّلائل الفطريَّـة الطَّبيعيَّـة لقوامـة الرَّجل ، شعـور المرأة بالحرمان والنَّقص والقلق ، وفقـدان السَّعـادة حينمـا تعيش مع رجل لا يزاول مهام القوامة ، وتنقصه صفاتها اللاَّزمة .

فـالقوامـة وظيفـة داخل كيـان الأُسرة ، ووجـود القَيِّم في مؤسَّسة مـا لا يُلْغي وجود حقوق الشُّركاء فيهـا ، وحـدَّد الإسلام صفة قوامة الرَّجل وما يصاحبها من لطف ورعاية وحمايـة ، مع حقِّ المرأة في اختيار زوجها ، فهي بذلك تختـار القيِّم ، ولهـا أن تلاحظ فيه المقدرة على القوامة الرَّشيدة .

القوامة ... إدارة ... وفي كل الأَحوال بالمودَّة والرَّحمة .

- ٢ -

الميراث :

الأنثى في الإسلام معفاة من التَّكاليف الماليـة قبل الـزَّواج وبعـده ، لـذلـك هي أَوفر حظّـاً في الميراث من الرَّجـل ، فلئن تأخذ الأُنثى خمسة وتدَّخرهـا ، خير من أن يـأخـذ الرَّجل عشرة لينفق منها ، أو ينفقها كلّها .

هذا في الإِرث من الأَب ، فإن تزوَّجت الأُنثى أخـذت مهراً أضافته إلى ما ورثت ، وإن تزوَّج الذَّكر دفع مما ورث .

وفي صور أُخرى ترث بقدر الرَّجل أو أكثر .

إذا ترك الميّت أولاداً وأَباً وأُمّاً ، ورث كلٌّ من أَبو يه سُدُسَ التَّركة دون تفريق بين ذكورة الأَب ، وأُنوثة الأُم .

وإذا ترك الميِّت أخاً لأُمّه ، وأُختا لأُمّـه ، ولم يكن ثَمَّـة من

يحجبها من الميراث ، فإنَّ كلاًّ من الأخ والأُخت يرث السُّدُس ، دون تفريق بين الذّكر والأنثى .

وإذا تركت المرأَةَ المتوفَّاة زوجها وابنَتها ، فإن ابنتها ترث النِّصف ، ويرث والدها الّذي هو زوج المتوفّاة الرُّبع ، أي إنَّ الأُنثى هنا ترث ضعف ما يرثه الذكَّر .

- ٣ -

الشَّهادَةُ :

شهــادة المرأة بنصف شهــادة الرَّجـل ، صحيــح .. ولكن لا علاقة لذلك بالإنسانيَّة ، أو الكذب ، أو عدم الأمانة ..

شهادة المرأة في المعاملات الماليَّة نادرة .

أمَّـا شهـادتها في جرائم القَتْـل ، فهي إمــا تهرب أو تغمض عينيها ، أو يغمى عليها .

وأمَّا في الأمور النِّسـائيَّة فشهادتها كاملة .

وكذلك دية المرأة :

القَتْلُ العمـد يوجب القصـاص من القـاتل ، أمَّـا في القتل الخطـأ ، خســارة الرَّجـل خســارة معيـل ، فهي أكبر ، وليس الموضوع تقـديراً لقيمـة الإنسـانيّـة في القتيل ، بـل تقـديرٌ لقيمـة الخسارة المادِّيـة الَّتي لحقت بـالأُسرة بفَقْـدِه ، والقوانين اليوم لهـا حدٌّ أعلى ، وحدٌّ أدنى .

- ٤ -

النُّشُوز :

النَّشْزُ في اللُّغة : المرتفع من الأَرض ، جاء في (اللِّسان) : نشزت المرأة : ارتفعت عليه ـ على زوجها ـ واستعصت عليه ، وأبغضته وخرجت عن طاعته ، فالنُّشوز : سوء العشرة .

والنُّشوز حالة شاذَّة عند عدد من النِّساء السَّاديَّات .

ومع ذلك .. بما يخصُّ المرأة الشَّاذة المتمرِّدة النّاشز ، غير الطَّبيعيَّة ، وضع الإسلام أساليب للتغلُّب على الخلافات الَّتي قد تنشب بين الزَّوج وزوجته ، ووضع أساليب للتَّغلُّب عليها قبل الوصول إلى السِّلاح البتَّار القاسي : ﴿ واللاَّتي تَخافُون نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ في الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فإنْ أَطعنَكُم فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلاً إنَّ اللهَ كانَ عَلِيّاً كَبِيراً ، وَإن خِفْتُم شِقَاقَ بَيْنِهِما فَابعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِها إنْ يُرِيدا إصلاحاً

يُـوَفِّـقِ اللهُ بَيْنَهمُـــا إنَّ الله كانَ عَلِيمـــاً خَبِيراً ﴾ [النســـاء : ٣٤/٤ ـ ٣٥] .

فالوعظ : علاج رقيق هادئ لإزالة الجفوة .

ثمَّ الهجر : في البيت ، وهو سلاح يجمع بين اللِّين والشِّـدة ، وفيه يُسْر وفيه زجر .

ثمَّ الضَّرب للنَّاشز إن سمحت الظُّروف به ، قبل اللُّجوء إلى الحكَمَيْن ، حيث انكشـاف أسرار الـزَّوجَيْن ، وتعريض حيـاتهما لألسن النَّاس .

والضَّرب لا يستعمـل مـع امرأة تفضِّـل التَّحكيم عليــه ، أو تفضِّل الطَّلاق عليـه ، مع أنَّـه أبغض الحلال إلى الله ، لأن عقـد الـزَّواج في كتـاب الله : ﴿ وَأَخَـذْنَ مِنْكُم مِيثَـاقـاً غَلِيظـاً ﴾ [النساء : ٢١/٤] ، أي عهداً وثيقاً مؤكَّداً .

والطَّلاق دواء مرٌّ المذاق ، ولكن مرض الشِّقـاق أكثر مرارة وقسوة. يسَّرتـه كلُّ دول العـالم اليوم ، لأنَّ احتمال وقوع الخـلاف وارد ، فالرَّجل يطلِّق في حـال تعـذُّر استمرار الحيـاة الزوجيَّـة ،

والمرأة لها الحق في المطالبة بالتَّفريق إذا وجدت ضرورة تدعو إلى ذلك ، وفي بعض المذاهب لها الحقُّ في اشتراط أن تكون العصمة بيدها .

فالإسلام فيه مساواة ، والتَّأديب للنَّاشز امرأة كانت أمْ رجلاً ، مرحلة أخيرة لكلا الطَّرفين ، بقطع النَّظر عن الجهة المكلَّفة بإنزال العقاب ، فالقاضي يوقع العقاب المناسب على الرَّجل ، بما هو أشد مما يقع على المرأة .

والزَّوجة المسلمة ، في الدَّار المسلمة ، مع الزّوج المسلم ، لا يوصلها إسلامها وإسلامه إلى النُّشوز ، فرسول الله ﷺ ما ضرب امرأة قط ، حتَّى ولا جارية صغيرة ، لم يضربها بسواك على الرَّغم من وجود الذّنب ، فالزوجة المسلمة إن أخطأت استغفرت في مرحلة الحوار والتَّناصح والهجران .

ويبقى منطلق الإسلام : « ما أكرم النِّساء إلاَّ كريم ، ولا أهانهنَّ إلاَّ لئيم » .

- ٥ -

الحِجَاب :

وما الحجاب ؟

سَتْرٌ لمفاتن المرأة .

قالت بلسم عبد الملك في (الهلال ، تشرين الثَّاني ١٩٢٤م ، ص١٤٦) :

« يقولون : إنَّ الحجاب في بعض الأَقطار الشَّرقيَّة قد ألزم المرأة شيئاً من الجمود ، وضرب بينها وبين العِلْم والنُّور حجاباً كثيفاً مظلماً ، وينسبون إليه تأخُّرَها عن شقيقتها الغربيَّة ، على أننا لا نكاد نفقة معنى هذه النَّظرية السَّخيفة ، ولا نكاد نعلم من أمر الحجاب أكثر من أنَّه نطاق قد ضُرِبَ حول وجه المرأة وجسدها ، وليس له أدنى اتِّصالٍ بعقلها وذهنها ، ولا أيّ تأثيرٍ على قواها المفكِّرة ، ومواهبها الغريزيَّة » .

والَّـذين دعـوا إلى حرِّيَّـة المرأة وعنَـوَّا تفلُّتهـا وإظهـار مفـاتنهـا ، جعلوا المرأة في غير المكان اللاَّئق والمنـاسب لهـا ، مع انتهاك لكرامتها وإنسانيتهـا ، فتعريتهـا لا من أجل حريتهـا ، بل لتحقيق لذائذ الرَّجل ! .

- ٦ -

عَمَلُ المرأة :

تُعَدُّ تربية الأَطفال أَهم عمل في العالم ، وهذا العمل تقوم به المرأة ، فالأَطفال رجال المستقبل في كلِّ ميدان ، ومنهم النِّساء المربيات أيضاً في الأَجيال القادمة .

ومع ذلك عمل المرأة لا ضير ولا غبار عليه إن هي اضطرت إليه ، وأَمثلة عملها في صدر الإسلام كثيرة :

الشِّفَّاء بنت عبد الله القرشيَّة العدويَّة ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدِّمها في الرَّأي ، ويرضاها للحسبة في السُّوق .

أَسماء بنت مخربة ، ابنها عبَّاس بن عبد الله بن ربيعة ، كان يرسل إليها العطر من اليمن ، وكانت تبيعه في المدينة في قوارير .

وحـولاء بنت ثـويب كانت عطّـارة في سـوق المـدينـة ، وكذلك مليكة والدة السَّائب بن الأقرع .

وزينب بنت جحش ـ أمُّ المـؤمنين ـ كانت من العـامـلات المجدّات ، تدبغ وتخرز ـ تخيط الجلد ـ وتبيع وتتصدَّق .

وقَيْلـة الأنمـاريَّـة كانت تـاجرة تبيـع وتشتري مـع كلّ النَّاس .. إلخ ، [انظر : أُسْد الغابة ، الجزء السَّـابع للتعرُّف على ترجمات من ذكرنا وغيرهن كثيرات] .

عمل المرأة مسموح به عند الحاجة ، ولكن بحدود حشمتهـا ، وما تطيقه ؛ أي بما يتناسب مع طبيعة أُنوثتها .

- ٧ -

التعَدُّد :

التعدُّد مباح لا مفروض ، وشتّان ما بينهما :

الإباحة للضرورة وحين الحاجة .

والفرض إلزام ، وهو ما لا ينصُّ عليه الإسلام .

والتعـدُّد في المجتمع الغربي غير محـدَّد اليـوم ، في خليـلات لا يحصرهن رقم ، وأباحت الكنيسة تعدُّد الزُّوجات في إفريقيـة ، كما ذكرت إذاعـة لنـدن السـاعـة ٧,١٥ بتوقيت دمشق ، بتـاريخ ١٩٨٨/٨/٤ م .

الـزَّوجـة الـواحـدة أمر عليـه أكثر من ٩٨٪ من المسلمين ، وهنالك عوامل مقبولة ، تدفع بعضهم إلى الزوجة الثانيـة ، ومن عدد بلا سبب وسلوكه غير إسلامي ، لا يحسب على الإسلام .

- ٨ -

كيفَ نُعامِلُ الأهل ؟ :

من الخطأ الفادح أنْ يَفْسُدَ الجوُّ العائلي بسبب ما يفعله بعض الأزواج ، حيث يحتد ويشتد على زوجه نقداً ولوماً في أمرٍ هيِّن يسير ، إذ يطلب منها أن تقدِّم ما أخَّرته ، أو تؤخِّر ما قدَّمته من الأعمال المنزليَّة .

وقد يزداد سوء التَّفاهم ، وتشتد المغاضبة لأُمور بسيطة تافهة ، بسبب إلحاح أحد الزوجين في التدخل في شؤون يسيرة ، تدخُّلاً مشحوناً بالغضب والصَّخب .

ويضرب رسول ﷺ المثل لنا في مراعاة فطرة المرأة وما جُبلَت عليه من الميل إلى التَّرويح عن النَّفس ، فيسمح للسيدة عائشة رضي الله عنها أن تنظر للأحباش يلعبون بالحِرَاب في مسجده الشريف ، ولقد قرَّر العلماء استناداً لهذا الحديث أنه

يشرع للزَّوج إتاحة الفرصة لزوجه كي تنعم بما يخفّف عنها أعباء الحياة وضيقها .

يقول الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَقُولوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ [البقرة : ٨٣/٢] ، لذلك جاء الإسلام والنَّاس يقولون : النَّاس سواسية كأسنان الحمار ، تعبيراً عن المساواة الدَّقيقة ، ولكن رسول الله ﷺ قال : « النَّاس سواسية كأسنان المشط » ، روعة في التعبير مع الاحتفاظ بالمضمون .

الكلمة الطيبة تعزيز إيجابي ساحر ، والكلمة النَّابية إن كانت صحيحة تعلِّم الأولاد عدم احترام الأم ، وإن كانت غير صحيحة ، تسبب عدم احترام الأب ، وعدم الثقة به وبكلامه .

والزوجة ليست آلة حديدية ، راحة الزوج أولاً وراحتها تحصيل حاصل .

وفي سورة طه قال تعالى مخاطباً نبيّاً من أُولي العزم : ﴿ اذهبْ أنتَ وأخوكَ بآياتي ولا تَنيا في ذكري ، اذهبا إلى فرعون إنَّه طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لعلَّهُ يتذكَّرُ أو يخشى ﴾

[طه : ٤٢/٢٠ ـ ٤٤] ، فإذا كان الموقف مع فرعون وقد طغى ﴿ فقولا له قولاً ليّناً ﴾ ، فكيف مع الزوجة التي أوصانا بها الله ﴿ وَعَاشِروهُنَّ بِالمعروف ﴾ [النساء : ١٩/٤] ؟

الْمُجَادِلَة :

في القرآن الكريم سورة اسمها (المُجادِلة) رقمها (٥٨) ، فمن الْمُجَادِلة ؟

إنَّها خولة بنت ثعلبة ، زوجة أوس بن الصَّامت ، قالت : فيَّ واللهِ وفي أوس بن الصَّامت أنزل الله عز وجل صدر سورة (المجادلة) ، قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضَجِر ، قالت : فدخل عليَّ يوماً فراجعته في شيء فغضب ، وقال : أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي ، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعةً ، ثمَّ دخل عليَّ فإذا هو يريدني على نفسي ، قالت : فقلت : كلا ، والذي نفس خولة بيده لا تخلُص إليَّ ، وقد قلتَ ما قلت حتَّى يحكم اللهُ ورسولُه فينا ، قالت : فواثبني وامتنعت عنه ، فغلبتُه بما تغلب به المرأةُ الشيخَ الضعيف ،

فألقيته عني ، ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له مالقيتُ منه ، وجعلت أشكو إليه ماألقى من سوء خلقه ، قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول : ياخويلة ، ابن عمك شيخ كبير ، فاتّقي الله فيه ، قالت : فواللهِ مابَرِحت حتى نزل فيَّ القرآن ، فتغشّى رسول الله ﷺ ماكان يتغشّاهُ ، ثمَّ سُرِّي عنه فقال : ياخويلة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ، ثمَّ قرأ عليَّ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قولَ التي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وتَشْتكي إلى الله ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَللكافرينَ عَذابٌ أليم ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : مُرِيه فليعتق رقبة ، قالت : والله ماعنده مايعتق ! قال : فَلْيَصُم شهرَيْن متتابعين ، قالت : والله إنه شيخ كبير ، مابه من صيام ، قال : فليطعم ستِّين مسكيناً وسْقاً من تمر (الوسق : ستون صاعاً) ، قالت : يارسول الله ، ماذاك عنده ! فقال ﷺ : فإنَّا سنعينه بعَرَق من تمر (العَرَق : هو زنبيل منسوج من نسائج الخوص) ، قالت : وأنا أُعينه بعَرَق أيضاً .

فقال ﷺ : فقد أصبتِ وأحسنتِ ، فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثمَّ استوصي بابن عمك خيراً ، قالت : ففعلتُ .

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه النَّاس ، فمرَّ بعجوز ، فجعل يحدِّثها وتحدِّثه ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، حبستَ النَّاس على هذه العجوز ؟! قال عمر رضي الله عنه : ويلك ! تدري من هذه ؟ هي امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها : ﴿ قد سَمِعَ اللهُ قولَ التي تُجادِلكَ في زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تحاوُرَكُما إنَّ اللهَ سَميعٌ بَصِيرٌ ... ﴾ ، واللهِ لو أنَّها وَقَفَتْ إلى الليل ما فارقتُها إلاَّ للصَّلاة ، ثمَّ أرجع .

يَهُمُّنا المضمونُ :

إنَّنا نقدِّم للبشريَّة تصوُّراً للحياة ، ومن هذا التَّصوُّر صورة فيه المرأة محصّنة عفيفة طاهرة ، والزوج كذلك محصّن عفيف طاهر ، وتقدِّم الحضارة الغربيَّة صورة أُخرى ..

وأبسط ما نقول : ما يدعوننا إليه ، ماذا حقَّق عندهم ؟ وما ندعوهم إليه ماذا حقَّق عندنا ؟

ما ندعوهم إليه حقَّق عندنا سلامة الأسرة ، وبالتالي سلامة المجتمع ، وكل خلل نراه في مجتمعنا مصدره ما صُدِّر إلينا من عندهم ، وما يدعوننا إليه ماذا حقَّق عندهم ، خصوصاً في مجال تحرُّر المرأة ؟ تفلُّت المجتمع ، و (معيشة ضنكاً) على الرغم من التَّقدُّم العلمي الذي نراه عندهم ، والواقع يقول : إنّ التقدُّم العلمي ، والرُّقي الحضاري الإنساني الاجتماعي شيء آخر ، و (الرَّقيق الأبيض) المنتشر اليوم خير دليل ، إنَّه الاتِّجار بأجساد النساء دون احترام الأنوثة .

وأخيراً ..

المرأة في الإسلام ليست مسؤولة عن الخطيئة الأولى ، وفي كتاب الله المجيد : ﴿ وَعَصى آدَمُ رَبَّـهُ فَغَوى ﴾ [الأحزاب : ٣٥/٣٣] ، الذَّنب ذنب آدم وحده ، وهذا بخلاف ما تدّعيه عقائد أخرى حُرِّفت ، بجعل الذنب ذنب حواء .

والمسلم المتفهِّم لتعاليمه ، يحاذر من اجتهادات من يرى المرأة :

إنَّ النساءَ شياطينٌ خُلِقْنَ لنا نعوذُ باللهِ من شَرِّ الشَّياطينِ

ويعتمد رأي من يرى المرأة :

إنَّ النساءَ رياحينٌ خُلِقْنَ لَنَا وَكلّنا يشتهي شَمَّ الرَّياحينِ

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً .

☆ ☆ ☆

LIBERATING WOMEN
FROM WHOM ? &WHY?
Taḥrīr al-Mar'ah Mimman wa- fī-ma Ḥurrīyatuhā?
Dr. Shawqī Abū Khalīl

أوصى خطيبٌ في حفل قران العَريس بقوله: اعلم أنك تزوجت امرأة، ورسول الله ﷺ يقول: «ناقصات عقل ودين»، أما وأنه قد صار لك زوجة اعتباراً من اليوم، فاحفظ -لتطبّق- حديث رسول الله ﷺ: شاوروهن وخالفوهن.

وبعد سماع الخطبة، والموازنة مع خطب غيرها تناولت الموضوع ذاته، تساءلت: متى سينتصر الجدُّ وينهزم الهزل؟! فالذي يقف أمام مئات المدعوين مسؤول أمام الله عن هذه الدقائق التي تنتزع من وقت الحضور، والتي يتحدث خلالها بمنهج قد ينفّر المستمعين من الإسلام وتعاليمه، وإما أن يقرّبهم منه ومن تعاليمه لجودة مايطرح بمنطق وتحليل سليمين.

وبسبب هذه الخطبة المزعجة عُدتُ إلى محاضرة ألقيتها في إحدى الجامعات العربية، بعنوان: (تحرير المرأة ممّن؟ وفيمَ حريّتها؟)، لإعادة النظر بها وتقديمها للقارئ من جديد، وأنا لا أدّعي أنني قد قدمت رأي الإسلام كاملاً، لقد قدّمت رأيي كما فهمته من الإسلام، ولكن أرجو الله تعالى أن يكون فهمي قريباً -إلى حد مقبول- من الإسلام وأهدافه وحقائقه ومراميه.

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/


ISBN 1-57547-451-4

SROUR ALWANI 2000